

مع

القرآن الكريم

قدم له
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تأليف
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« إن أحسنَ الحديثِ كتابُ الله تبارك وتعالى .
قد أفلح من زينته اللهُ في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ،
واختاره على ما سواه من أحاديث الناس .
إنه أحسنُ الحديثِ وأبلغه .
أحبُّوا ما أحبَّ اللهُ .
أحبُّوا اللهَ من كلِّ قلوبكم .
ولا تسمَلُوا كلامَ الله وذكْرَه ، ولا تنقَسُ عنه قلوبُكم »

من خطبة لرسول الله ﷺ

للمؤلف:

- * مرشد الدعوة إلى الله "دراسة وتطبيق".
- * أخرج "كتاب الشكر" للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله (ابن أبي الدنيا) من علماء القرن الثالث من الهجرة مع زيادات وتعليقات، ومقدمة عن المؤلف وعصره.
- * رياض الفالحين ومنار السالكين .
- * في فجر الإسلام "عرض قصصي".
- * يوم الفرقان .
- * أذكار ودعوات مباركات - وردى في اليوم والليلة .
- * زاد الأنقياء من وصايا خاتم الأنبياء

تقديم

بقام: أحمد صلاح جمجوم

أحمد الله وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين ، النبي الذي بعثه ربه بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الصف ٩)

آخر الكتب السماوية :

القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ وكلمة الله الأخيرة إلى البشرية عامة ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة سبأ ٢٨)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧) فهو للناس كافة وللعالمين من وقت نزوله إلى أن تقم الساعة وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

والقرآن الكريم هو الصورة الأخيرة لدين الله والمرجع الأخير في منهج الحياة وشرائع الناس ونظام حياتهم بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل ، ومن ثم فكل اختلاف يجب أن يُرد إلى هذا الكتاب ليفصل فيه ، سواء كان هذا الاختلاف في التصور الاعتقادي بين أصحاب الديانات السماوية أو في أمر من أمور الشريعة التي جاء هذا الكتاب بصورتها

الأخيرة أو كان هذا الاختلاف بين المسلمين أنفسهم فالمرجع الذى يعودون إليه بأرائهم فى شأن الحياة هو هذا الكتاب قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة ٤٨) (فى ظلال القرآن الجزء الثانى ٩٠٢ طبعة دار الشروق) .
 وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء ٦٥)

القرآن حفظه الله بمعناه ولفظه :

والقرآن الكريم هو الكتاب السامى الوحيد الذى ينفرد بأنه النص الحرفى الدقيق الذى لم يطرأ عليه شئ من التعديل أو التحريف أو التبديل على مر السنين والأعوام وذلك بعناية مقدرة من قبل الله تعالى ليحفظ المنهج الكامل للبشرية سليما نقياً من كل الشوائب ، وليكون حجة لله تعالى على البشرية جمعاء بالرسالة السماوية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت ٤٢،٤١) ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ٩) ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لِامْتِدَادٍ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ (الكهف ٢٧) .

المنهج الكامل :

والقرآن الكريم يحوى منهجاً كاملاً للحياة البشرية، يشمل كل القضايا الرئيسة التى يحتاج إليها البشر فى حياتهم الدنيا، والتى توصلهم بسلام إلى الدار الآخرة حيث ينعمون بالخلود فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر: قال تعالى : ﴿ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام ٢٨) ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي

هَذَا الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ (الكهف ٥٤) والقرآن بهذا الشمول والاستيعاب يُجيب على جميع أسئلة الفطرة التي تخطر على أذهان كل الناس عن الكون والحياة والإنسان . إجابة صحيحة تستقيم بها حياة الإنسان على هذا الكوكب وتصل به إلى الآخرة بسلام .

للكون إله واحد :

ولقد عني القرآن الكريم بالإجابة عن السؤال الذي يخطر دائما بأذهان الناس عن خالق هذا الكون ومدبره ، وهو الله وحده لا شريك له ، ولم يظهر في الوجود حتى الآن من يدعى أنه خلق السموات والأرض ، قال تعالى في سورة الزخرف : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (آية ٩) وقال تعالى في سورة الأنعام ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (آية ١٠٢)

وقال تعالى في سورة الرعد : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴾ (آية ١٦) .

أما ما ينسب إلى الطبيعة أو الصدفة أو التطور فإن هي إلا أسماء سُميت بغير علم ولا منطق وفي كل يوم يكتشف العلماء أدلة وشواهد تثبت أن لهذا الكون إلهًا عظيمًا قديرًا مدبرًا ومبدعًا ، فقد تجلّى ذلك بوضوح لدى علماء الفلك ورواد الفضاء كما تجلّى لدى علماء الأجنّة وعلماء الطب ، قال تعالى في سورة فصلت : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (آية ٥٣)

القرآن يهdy إلى الحق :

ويجب القرآن الكريم على أسئلة المتحيرين عن أساس خلق البشر ونهايتهم وغاية معيشتهم ، ومنهج حياتهم ، إجابات حاسمة واضحة تزيل كل لبس وإبهام ، فقد خلق الله تعالى أبانا آدم من تراب ثم قال له كن فكان بشرا سويا لم يتطور عن القرّة كما

تدعى النظرية الكافرة الجاهلة نظرية داروين التي تحط من قدر الإنسان وقيمته ، وهو الذى كرمه الله وفضله على كثير من خلقه قال تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْصِيلاً ﴾ (آية ٧٠) .

ويُبعث الناس بعد موتهم فيعودون إلى خالقهم وبارئهم ليحاسبهم على أعمالهم فيُشيبُ المحسن بإحسانه ويمجّزى المسيء بما أساء ، قال تعالى فى سورة المؤمنون : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (الآيات ١٢ - ١٦) .

وأما غاية الخلق فهى غاية شاملة تشمل الحياة كلها وما يتم فيها من أعمال قال تعالى فى سورة الذاريات : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (آية ٥٦) والعبادة هنا واسعة شاملة تشمل :

أولا : عبادة الله وشكر المنعم سبحانه وتعالى وإخلاص العبادة لله ولزوم أمره واجتناب ما نهى عنه .

ثانيا : وتشمل كل فكر وكل شعور يراد به وجه الله وتشمل مهمة الخلافة فى الأرض كما تشمل عبادة الأرض ، ويصبح العمل عبادة والتعليم عبادة والسعى فى الرزق عبادة والزواج ومداعبة الأهل وتربية الأطفال كلها عبادات لله ، والنشاط الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والفكرى والفنى الذى لا انحراف فيه عن قيم الإسلام كله عبادة ، والسعى إلى إقامة الحق والعدل فى الأرض عبادة .. كل ذلك عبادة إذا كان أداؤه والتحرك فيه مراعى فيه وجه الله تعالى .

إن التشريع الإلهى الذى جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية التى تكمل القرآن الكريم وتشرحه يوضح منهج الحياة البشرية الأمثل ، ذلك أن الشريعة هى التى تنظم

الحياة البشرية وعلاقة الإنسان بنفسه وأسرته ومجتمعه وبالفرء العاى وبالحكم وبالدولة وتنظم علاقة الدولة بالدول الأخرى وبالمجتمع الإنسانى كله ، فإذا كانت الشريعة بهذا المعنى تنظم منهج الحياة البشرية وأسلوب المعيشة الإنسانية على وجهها الأمثل فإن العقيدة تمثل العلاقة العقائدية بخالق هذا الكون الذى شرع للبشرية منهج حياتها فى كتابه المقدس القرآن الكريم ، ويتضح أن العقيدة والشريعة مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً بحيث لا تنفصل إحداهما عن الأخرى لأن الإيمان القائم على الاعتقاد بالله لا يتم إلا بالإقرار لهذه الشريعة ووجوب تطبيقها فى الحياة .

ومن الناحية التشريعية فقد شمل القرآن الكريم منهجاً كاملاً للحياة البشرية يحقق لمن يتبعه ويطبقه حياة إنسانية رفيعة فى الدنيا وسعادة كاملة فى الآخرة قال تعالى فى سورة النحل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (آية ٩٧) . فالإيمان هو العقيدة ، والعمل الصالح هو المنهج القرآنى .

والشريعة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية تضع القواعد والقضايا الثابتة للتشريع وترك للعقل المؤمن باب الاجتهاد ليستنبط من الكتاب والسنة التفصيلات المتغيرة التى تتغير بتغير النشاط الإنسانى ، وهذه هى مهمة الفقه الإسلامى المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية .

لا إفراط ولا تفريط :

فإذا استعرضنا كل المناهج والنظم التى عرفتها البشرية فى ماضيها أو حاضرها نجد أن الإسلام هو نقطة الوسط المتوازن بين المتطرفات التى تعانى منها البشرية . فالنظام الاقتصادى الغربى يبيع الملكية الفردية بلا حدود فينشأ عنها طغيان الإقطاع واستبداد رأس المال وتحكمه فى المجتمع بينما يبالغ النظام الشيوعى فى إلغاء الملكية الفردية مما يؤدى إلى طغيان الدولة على حساب الحريات العامة . ونجد القرآن الكريم يبيع الملكية

الفردية في إطار حدود تمتع طغيان المالكين وذلك عن طريق منع تضخم الثروة بتحريم الربا وتحريم الاحتكار وبقوانين الميراث الذى يفتت الثروة بتوزيعها على الورثة كما نجد حقوق الدولة محكومة بالمنهج القرآنى الذى يقضى بالشورى أساسا لنظام الحكم فى الإسلام . وبذلك .. يحتفظ كل من الفرد والمجتمع بحقوق وواجبات فى توازن واتساق .

وبينما قامت أفكار فى الماضى على أساس أن كل شىء فى الكون والحياة ثابت لا يتغير ، وقامت أفكار مضادة فى الحاضر على أساس أن كل شىء فى الكون والحياة متطور ولا شىء ثابت على الإطلاق نجد هذا الكتاب المعجز يشير إلى أن هناك أشياء فى الكون والحياة ثابتة لا تتغير وأشياء أخرى دائمة التغير .

وبينما قامت عقائد ونظم على أساس أن الروح هى المحور ، وأن الجسد والمادة أمور تافهة لا تستحق الاهتمام ، وقامت عقائد ونظم أخرى على أساس أن المادة هى المحور وأن الروح والقيم مجرد انعكاس لها نجد أن هذا الكتاب المعجز يشير إلى وجود الروح والجسد معا ، وإلى أن الروح والمادة مترابطتان غير منفصلتين ، ويُفصلُ منهج الحياة على هذا الأساس الشامل الكامل المترابط ، أن الإنسان روح وجسد فى آن واحد ، وأنه يعيش للدنيا والآخرة فى آن واحد ، وأن الحضارة الإنسانية ينبغى أن تتركز على الأمرين معا فى توازن واتساق قال تعالى فى سورة القصص ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينِ ﴾ (آية ٧٧)

من الإعجاز العلمى :

ولا يفوتنا أن نشير بإيجاز إلى الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم فقد نزل هذا الكتاب فى أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ولم يكن لديها رصيد من العلم كما هو الحال فى العصر الحاضر ، وفى وقت باكر يرجع إلى أربعة عشر قرنا جاءت فى القرآن الكريم إشارات كونية لم تكن معروفة للعرب الذين خوطبوا بهذا القرآن أول مرة ولا للبشرية كلها المخاطبة ضمنا

بهذا القرآن ، فحين نزل الكتاب لم تكن البشرية تعرف أن مهمة الجبال فوق سطح الأرض هي حفظ التوازن فيها ولكن هذا الكتاب المعجز أشار إلى ذلك في قوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَائِيَّ أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (آية ١٠) ولم تكن البشرية تعلم أن اللبن الذي تنتجه إناث الحيوان ينتج من بين فرث ودم أى الغذاء المهضوم والدم ، ولكن هذا الكتاب المعجز أشار إلى ذلك في قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (آية ٦٦) .

وكثير مثل هذه الإشارات الكونية ، وغيرها في النفس الإنسانية ، ويكفى أن أحيل القارئ إلى بحث واحد في جانب منها هو كتاب (موريس موكاى) الطبيب الفرنسى عن معجزات القرآن في عالم الطب ..

كتاب [مع القرآن الكريم] .

وإنتى حين قرأت كتاب (مع القرآن الكريم) . الذى أقدمه للقراء وجدت أن المكتبة الإسلامية في حاجة إليه لأن هذا الكتاب يقدم جوانب تتصل بكتاب الله العزيز بأسلوب سهل وعرض شائق ، الناس في حاجة إلى معرفتها والتبصير بها ، كما أنه يشوق النفوس إلى ضرورة العناية بكتاب الله حفظا وتلاوة .. وتدبرا وفهما وعملا بأحكامه والتزاما بفضائله ، إلى جانب الفصول التى تتحدث عن ترتيب القرآن وجمعه ، وتبين معنى الناسخ والمنسوخ ، وما يتصل بتفسير القرآن بالرأى وغير ذلك من الموضوعات التى لا غنى للمسلم عن معرفتها والإلمام بها .

أسأل الله عز وجل أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا .

وأن يجعلنا من أهل القرآن الكريم .. آمين ..

القارئ العزيز

بعث الله نبيه محمداً ﷺ على فترة من الرسل ، وقلّة من العلم ، وانتشارٍ من الجهل ، واعتزلاً من الفتن ، وضلالةٍ من الناس وأنزل عليه القرآن ، فأمن به رجال ونساء وشبان وشابات ، تعلقت بالقرآن قلوبهم ، وتفهموا أغراضه ومراميّه ، ووزنوا مساكلهم بميزانه وهُدوا إلى تطبيق أحكامه ، وكانت الآيات تنزل على النبي ﷺ فيتلونها ، ويتدبرونها ، ويعملون بها ، ويقفون عند حدود ما أمرت به ونهت عنه ، كان العمل قرين العلم عندهم ، فسادوا وعزُّوا ، وأقاموا صرحاً حضارياً نمت في ظلاله حقوق الإنسان فنعم الناس بالعدل والمساواة وبالإخاء ، وتحقق التكافل والتعاون على جلب المصالح ودفع المضار ، وأقبل المسلمون على تراث الأمم الغابرة من يونان وفرنس وهنود ورم فانتفعوا بالصالح منه ، وأقاموا معوجّه وأصلحوا فاسده ، ونبذوا باطله وبيّنوا زيغه وانحرفه عن جادة العقل المستقيم ، والتفكير الراشد السديد ، ذلك لأن القرآن الكريم هذب طباعهم ، وصلح أذواقهم وأفكارهم ، وفتح أمام العقول المجال الرحب للتفكير والبحث عن كل صالح ، ولَفَت إلى آيات الكون وما فيها من جمال وتناسق وانتظام وإبداع ، وما فيها من منافع ورحمة بالعباد ، ليتخذوا من هذه الآيات الكونية أدلّة وبراهين على وجود الخالق المدبّر الحكيم وقدرته المطلقة ووحدانيته ورحمته بعباده ، حتى يكون الإيمان عن يقينٍ راسخ ، ثم لينتفعوا بما أودع الله في الكون المحيط بالإنسان من أسرارٍ ومنافعٍ تجلُّ عن الحصر ، ويهيأ الانتفاع بها لكل عامل مجتهد .

إن القرآن الكريم هو روح أمتنا الإسلامية وحياتها به ، وبتطبيق أحكامه وشرائعه وبالعمل بما فيه يكون الهدى والعز والنصر والتأييد :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ سورة غافر (٥١) .
وبالتمسك به والعمل بما فيه نحفظ وحدتنا ، ويتحقق رخاؤنا وتكافلنا ، وتكون لأمتنا وجهة فكرية وعقائدية ومسلكية تضمن تماسكها وتعاونها ، فلا تقوى الأهواء على تمزيقها ، ولا تستطيع الفلسفات الأرضية أن تنال من قوة رابطتها وإخائها .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (النور ٥٥)

نعم : إن العز والتمكين بالإيمان الصادق ، والعمل الصالح على مقتضى كتاب الله العزيز وسنة نبيه الهادي الأمين ﷺ .

وإني لأترك للقارىء أقسام هذا الكتاب وموضوعاته يقب فيها الفكر والنظر راجيا من وراء ذلك رحمة الله وعفوه ، وأن تلتقى القلوب المحبة للحق وللخير وللإنسانية على العمل من أجل العناية بالقرآن الكريم تلاوة وتدبرا وحفظا وعملا ، وكم أتمنى أن يسعى المخلصون في أرجاء الوطن الإسلامي لإقامة مدارس تحفيظ القرآن مع العناية به وبالعلم التي تعين على فهم معانيه واستنباط أحكامه في جميع مراحل التعليم ، حتى يظل القرآن مهيمنا على فكر الناشئة والأجيال التي يراد لها أن تحمل مسؤولية البناء في أوطاننا فلا تلعب بها الأهواء ، ولا تزيع عن جادة الحق والهدى ، وتظل قوية العقيدة ، مستنيرة الفكر ، رشيدة في أفعالها ومسالكها .

والله الموفق للخير والهدى والسداد ..

محمد بن محمد طه



قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أما إنها ستكون فتنة ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله تعالى فيه نيا ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله تعالى ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : « إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فأمنا به » من قال به صدق ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم »

أخرجه الترمذى



القسم الأول

نزول القرآن منجماً
معنى الناسخ والمنسوخ
المكي والمدني من سور القرآن الكريم وآياته
كتاب الوحي
ترتيب القرآن الكريم وجمعه
تفسير القرآن الكريم بالرأى
القرآن الكريم أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

نزول القرآن منجماً

قال الله تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً . وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الفرقان : (٣٢ - ٣٣) .

القرآن الكريم لم ينزل على نبيِّنا محمدٍ ﷺ جملةً واحدة ، وإنما نزل نُجوماً نجوماً ، وفي الآيتين الكريميتين إشارة إلى ذلك ، لأن الكفار وخصوصاً اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقاً قالوا : هلا أنزل عليه القرآن جملةً واحدةً كما أنزلت التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود فقال الله تعالى : « كذلك » أى أنزلناه مفرقاً « لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً » .

وفي ذلك بيانٌ للحكمة في إنزال القرآن مفرقاً على النبي ﷺ : فقد نزل القرآن مفرقاً ليقوى الله به قلب نبيه ﷺ ، فيعيه ويحمله ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

- وإذا كانت الكتبُ المتقدمة أنزلت جملةً واحدةً فذلك لأنها أنزلت على أنبياء يكتبون ويقروون ، والقرآن أنزل على نبيٍّ أمي .

- والقرآن منه ناسخٌ ومنسوخ ، ومقتضى الحكمة أن ينزل الحكمُ المرادُ العملُ به الحاجة طارئة ، أو بصفة مؤقتة ثم ينزل الناسخُ له بعد ذلك ، كما في آيات التجاوز عن إساءات المشركين في المرحلة المكّية ، ثم نسخت بآيات القتال بعد ذلك .

- ثم من القرآن ما كان ينزل جواباً لمن سأل عن أمور ، مثل سؤال المشركين - بإيعازٍ

من يهود - عن الروح ، وأهل الكهف ونى القرنين ، فبين الله أمر أهل الكهف ، وقصة نى القرنين ، وأبهم أمر الروح على مقتضى حكمته سبحانه وتعالى ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون رسول الله ﷺ عن أمورٍ أو أحكامٍ يريدون أن يعرفوا حقيقتها وأمر الله فيها ، فكانت الآيات تنزل جوابا وبيانا وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة منها :

- سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ . أقریب ربنا فنناجیه أم بعيد فننادیه ؟ ،

فنزلت : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ^(١) » .

- وكان الأنصار قبل أن يُسلموا هم وغسان يُهلون لمناة - أى عند زيارة البيت

الحرام - فتحرجوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، وكان ذلك سنةً في آبائهم - أى قبل

الإسلام - من أحرم لمناة لم يطفُ بين الصفا والمروة ، وبعد الإسلام سأل الأنصار النبي

ﷺ عن ذلك

فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ

اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطُوفَ بِهَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ^(٢) ﴿

وهذا الحديث أخرجه البخارى ومسلم .

هذه بعض أمثلة لنزول القرآن جوابا لأسئلة الناس ونحن نجد في القرآن الكريم

آيات كثيرة تبدأ بلفظ « يسألونك » مثل :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ البقرة ٢١٧

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ البقرة ٢٢٢

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ البقرة ٢١٩

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ البقرة ٢١٥

- كما كان القرآن الكريم ينزل في الحوادث والأحوال التى تقع لبيان العبرة أو الحكم

فيها وفي آيات الله لذلك أمثلة كثيرة نشير إلى بعضها على سبيل المثال :

«١» سورة البقرة : ١٨٦

«٢» سورة البقرة : ١٥٨

ما نزل من الآيات مبشراً بنصر الروم على الفرس بعد أن غلبتهم الفرس وفرح لذلك أهل الأوثان .

ما نزل في بيان فضل الله على المؤمنين في غزوة بدر الكبرى ، وحكم الله في الغنائم والأسرى ، وكذلك ما نزل من الآيات في سائر الغزوات وبيان العبرة في كل منها : كالأحزاب وحنين وأحد وغيرها .

ما نزل في قصة الإفك لبيان نصاعة وطهر وعفاف وتقوى وشرف وعلو كعب بيت النبوة وأهله .

ما نزل في النهي عن صلاة الجنابة على المنافقين الذين عرفهم النبي ﷺ بأعيانهم بوساطة الوحي بعد الصلاة على عبد الله بن أبي راس المنافقين

ما نزل في مسجد الضرار ونهى الرسول عن الصلاة فيه لأن النية من ورائه خبيثة - والأعمال بالنيات والمقاصد - .. والحوادث والأحوال كثيرة ..

- وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون التشريع في ذلك الزمان بالتدرج حتى تُطيقه النفوس ، وتعدّ القلوب لتقبله ، خصوصا أن الناس عند بدء الوحي كانوا في جاهلية ، وقد استولت على نفوسهم وهيمت على عقولهم ، ومسالكهم عقائد وأفكار ونظم للحياة وعوائد ليس من السهل انتزاعهم من شراكها مرة واحدة أو تنقيتهم من أدرانها في يومٍ وليلة .

ولهذا رأينا العبادات شرعت على مراحل ، ولم تنزل الفرائض والأوامر والنواهي جملة واحدة .

كما أن الحمر على قبحها وضراوتها لم يتمّ تحريمها على العباد مرة واحدة بل تمّ التحريم بالتدرج ، لأنها كانت في الجاهلية عادة مألوفة .

كما أن تحريم الربا جاء متأخرا ولعل من الحكمة في ذلك أن تكون النفوس قد تشربت تعاليم الدين وحبّه ، وازداد تعلقها بالنعيم الأخرى وصارت مستعدة للتخلي عن حب المال مادام في ذلك ما يرضى الربّ سبحانه وتعالى .

ولنتدبر قولَ الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ .
 أى لو أنزلنا عليك القرآن جملةً واحدةً ثم سألوك لم يكن عندك ما يجيب به ، ولكن نمسك
 عليك ، فإذا سألوك أجبت .

قال النحاس : وكان ذلك من علامات النبوة ، لأنهم لا يسألون عن شيء إلا أُجيبوا عنه ،
 وهذا لا يكون إلا من نبي ، فكان ذلك تشبيهاً لفؤاده ولأفئدتهم ، ولو نزل جملةً بما فيه من
 الفرائض لثقلَ عليهم ، والله أعلم أن الصلاح في إنزاله متفرقا ، لأنهم يُنبهون به مرةً بعد
 مرةً ولو نزل جملةً واحدةً لزال معنى التنبيه ، وفيه ناسخ ومنسوخ ، فكانوا يتعبدون بالشيء
 إلى وقت بعينه قد علم الله عز وجل فيه الصلاح ، ثم ينزل النسخ بعد ذلك ، فمُحال أن
 ينزل جملةً واحدةً : إفعلوا كذا ، ولا تفعلوا .

إن حكمة الله عز وجل اقتضت أن يكون نزول القرآن نجوماً بحسب الأحوال ،
 والأسئلة ، والوقائع والحوادث ، ولتيسير حفظه ، وتهينة النفوس لتقبل التغيير والخروج من
 مضائق الجاهلية إلى سعة فضل الله ورحمته بعباده بالأحكام العادلة ، والعبادات ،
 والفضائل ، وقواعد المعاملات وغير ذلك وهو سبحانه العليم الخبير .

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

﴿ أنزل القرآن جملةً واحدةً إلى سما الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين
 سنة ، ثم قرأ ﴾ ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (١)

قال ابن كثير : هذا إسناد صحيح .

معنى النسخ والمنسوخ

قال الله تعالى :

﴿ مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة (١٠٦) .

النسخ في كلام العرب على وجهين .

أحدهما : النقل ، كنقل كتاب من آخر ومنه قوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) أى نأمرُ بنسخه وإثباته .

الثانى : الإبطال والإزالة ، وهو المقصود في الآية .

وهو منقسم في اللغة على ضربين :

أحدهما : إبطالُ الشيء وزواله ، وإقامةُ آخرٍ مقامه ومنه قولنا : نسختِ الشمس

الظلَّ ، إذا أذهبته وحلَّت مكانه ، وهو معنى قوله تعالى :

﴿ مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ .

كلاية تنزل بأمر ثم يُنسخ هذا الأمرُ بآيةٍ أخرى .

الثانى : إزالةُ الشيء دون أن يقمَّ آخرُ مقامه ، كقولنا : نسختِ الريحُ الأثرَ ، ومن

هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ فَيَنْسِخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ﴾ ^(٢) أى يزيله فلا يُتلى ولا يُثبت في المصحف

بدله . والمعنى الشرعى للنسخ مأخوذ من هذا المعنى اللغوى فهو إزالة ما قد استقر من الحكم الشرعى بخطابٍ ورد متراجحاً - هكذا حدهُ القاضى عبد الوهاب وغيره . وقد أجمع السلف من الصحابة والتابعين على وقوع النسخ فى الشريعة .

وَسُنِّحَ الحكمِ إِنَّمَا يَتِمُّ لضربٍ من المصلحة إظهاراً لحكمةِ الله تعالى وكمالِ مملكته ، ولاخلافَ بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قُصِدَ بها مصالحُ الخلقِ الدينية والدينية ، فالنسخُ وهو تحويلُ العبادِ من شىء إلى شىء قد كان حلالاً فيحرمُ ، أو كان حراماً فيحلُّ . إِنَّمَا يكون لأن الله عزَّ وجلَّ أعلمُ بعباده وبما يُصلحهم ، فقد كان المسلمون - مثلاً - فى مكة يواجهون أنى الكفارِ ، وأمر الله المؤمنين بالصبرِ والتجاوُزِ والإعراضِ عن المشركين ، ولم يأمرهم بردَ العدوانِ بمثله وكان ذلك لحكمة ، ثم أمرهم الله بعد ذلك بالقتال ، وأذن لهم فى قتالٍ من يقاتلهم - وهذا الأمر يشبه موقفَ الطبيبِ المراعى أحوالِ العليل - فالله عزَّ وجلَّ راعى ذلك فى خليفته بمشيئته وإرادته ، لا إله إلا هو ، فخطابه عزَّ وجلَّ يتبدل - إذا أراد - وإرادته سبحانه لا تتغير فإن ذلك محالٌ فى جهةِ الله تعالى .

والنسخُ إِنَّمَا يَتِمُّ فى مدَّةِ النبى ﷺ ، وأما بعد مدَّته وقد استقرتُ الشريعةُ ، فقد أجمعت الأمة على أنه لا نسخ .

والمنسوخ فى كتاب الله عزَّ وجلَّ على ثلاثة أضرب .

- فمنه نُسختْ تلاوته وحكمه معا .

ومنه ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال :-

أقرأنى رسول الله ﷺ آيةً فحفظتها وكتبتها فى مصحفى ، فلما كان الليل رجعت إلى مضجعى فلم أرجع منها بشىء وغدوت على مصحفى فإذا الورقة بيضاء ، فأخبرت النبى ﷺ فقال لى :

« يا ابن مسعود (تلك رُفعت البارحة) فهذا مما نُسخَ خطُّه وحكمه .

- ومنه ما سُيِّختْ تلاوته وبقيَ حكمه كآيةِ الرِّجم ، فقد روى عن عمر رضى الله عنه

أنه قال : لولا أكره أن يقول الناس قد زاد فى القرآن ما ليس فيه لكتبتُ آيةَ الرِّجمِ .

وَأَثْبِتْهَا ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْنَاهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنْ ذَلِكَ كَفَرُ بِكُمْ ، الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نِكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . فهذا منسوخ المخط ثابت الحكم .

- ومنه ما نُسِخَ حُكْمُهُ وَبَقِيَتْ تِلَاوَتُهُ مِثْلُ : الصَّفْحُ عَنِ الْمَشْرِكِينَ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ ، نُسِخَ ذَلِكَ بِمَشْرُوعِيَةِ الْقِتَالِ ، وَمَعَ ذَلِكَ بَقِيَ خَطُّهُ .

ومثل : صدقة النجوى في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ الآية (١) .

وناسخها قوله تعالى : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ . الآية (٢) .

وقوله تعالى : « نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا »

أى مُحْكَمَةٌ مَكَانَ مَنْسُوخَةٍ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ بِعِبَادِهِ وَبِمَا يَنْفَعُهُمْ وَيُصْلِحُ أحوالَهُمْ وَبِهِمْ ، نَفوسَهُمْ لِلْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ .

«١» سورة المجادلة : ١٢

«٢» سورة المجادلة : ١٣

المكي والمدني من سور القرآن الكريم وآياته

أقلم النبي ﷺ بمكة بعد النبوة نحو ثلاث عشرة سنة وإقامته بالمدينة المنورة كانت عشر سنين ، وقد أوحى الله إليه وهو ابن أربعين سنة ، وتوفى ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وما نزل من القرآن قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة يُسَمَّى « مكيًا » وما نزل بعد الهجرة النبويَّة « يسمَّى مدنيًا » سواء كان بالمدينة أو غيرها من أى البلاد كان ، حتى ولو كان بمكة أو عرفة .

وأهل العلم أجمعوا على سَوْرَاتها من المكي ، وأخراتها من المدني ، واختلفوا في أخر . وقال بعض أهل العلم : كلُّ سورةٍ في أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكيَّة ، ماعدا البقرة وآل عمران ، كما أن كلَّ سورةٍ فيها « يا أيُّها الذين آمنوا » فهي مدنيَّة ، وما فيه ، « يا أيها الناس » فيُحتمل أن يكونَ من هذا ومن هذا والغالب أنه مكي ، وقد يكون مدنيًا كما في البقرة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢)

وقال بعضهم : كلُّ شيء في القرآن « يا أيُّها الذين آمنوا » ، فهو مدنيُّ ، وما كان منها « يا أيُّها الناس » و « يا بني آدم » فإنه مكي .

ومن العلماء من يستثنى من المكي آيات ، يقول : إنها من المدني ، كما في سورة الحج (١) وغيرها .

يقول ابن كثير : والحق في ذلك ما دلّ عليه الدليل الصحيح - فالله أعلم - .

والسور المكية تلفت الناس إلى خلق الإنسان وتكوينه وحياته وموته ونومه ويقظته وإلى الكون المحيط به وما فيه من جمال وجلال وتناسق وإبداع وانتظام مما يدل على وجود الخالق وحدانيته وقدرته وحكمته ومغايرته للمخلوقين واتصافه بصفات الكمال والجلال ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار « ليس كمثل شيء » .

كما بينت زيف الآلهة التي اتخذوها من دون الله ، وكشفت للعقل البشري عن الغاية من وجود الإنسان ، ومكانه من هذا الكون المسخر له ، وقدمت له الأدلة على فساد معتقدات منكري وجود الله ، ومنكري البعث والجزاء ، ومتخذى آلهة من دون الله عز وجل ، وقصت على الناس قصص الماضين وما لهم فيها من عبر وعظات ليسلكوا طريق الناجين وينأوا بأنفسهم عن طريق الهالكين .

ففى هذه المرحلة كان الاتجاه إلى بيان التوحيد النقي الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك ، وبيان حقوق الله على عباده ، وواجباتهم نحو ربهم ، وتخليصهم من أدران الجاهلية وخرافاتهما وأباطيلها وتحرير عقولهم من التقليد والجمود على ما كان عليه الآباء والأجداد ولو كانوا على ضلال ، وتهيئة النفوس لبناء دولة التوحيد على نظام ربانى يدفع بالإنسان فى مراقى الكمال الإنسانى من ناحيته المادية والمعنوية ، الجسدية والروحية .

لهذا نجد الآيات المدنية توجه إلى بناء المجتمع على أسس عالية ، وتبين علاقة الفرد بالجماعة وعلاقة الحاكم بالمحكومين وقواعد المعاملات ، وعلاقة الدولة بغيرها وحالات السلم ، وحالات الحرب ، وتبين الحقوق والواجبات ، والحدود ونظام الأسرة وغير ذلك حتى

(١) قال هبة الله بن سلامة : سورة الحج من أعاجيب سور القرآن لأن فيها ليليا ونهاريا ومكيا ومدنيا وسفريا وحضريا

وحريا وسلميا وناسخا وينسوخا ..

أتم الله نعمته بإكمال دينه ، وصار الحلال بيِّنا ، والحرام بيِّنا ، والطريق واضحا ، والمنهج مضيئا ، وتركنا رسولُ الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالكٌ فالحمد لله على نعمة الإسلام .

عن علي بن أبي طلحة قال : نزلت بالمدينة :

« سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج والنور ، والأحزاب ، ﴿الذين كفروا﴾ والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والمتحنة ، والحواريون « الصف » ، والتغابن و﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ و﴿يا أيها النبي لم تحم﴾ والفجر ، ﴿والليل إذا يغشى﴾ و﴿إنَّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ و﴿لم يكن﴾ و﴿إذا زلزلت﴾ و﴿إذا جاء نصرُ الله﴾ .

والأنعام ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر ، النحل ، الإسراء ، الكهف ، مريم ، طه، الأنبياء ، المؤمنون ، الفرقان ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، سبأ ، فاطر ، يس ، الصافات ، ص ، الزمر ، المؤمن وسائر الحواميم ، ق ، الذاريات ، الطور ، النجم ، القمر ، الرحمن ، الواقعة ، سور جزء تبارك ما عدا الدهر ، وكذا سور جزء عم ما عدا المشار إليها في السور المدنية . وسائر القرآن بمكة ... (١)

يقول ابن كثير : وهذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير .
واستدرك ابن كثير على ابن أبي طلحة قائلا : وقد ذكر في المدني سورا في كونها مدنية نظر ومابه الحجرات والمعوقات .

(١) ولم يذكر ما اختلف فيه أم مكي ؟

ومن ذلك سورة الرعد وهي إلى تنزيل المدينة أشبه ، وسورة الدهر وهي إلى نزول المدينة أشبه ، « وقال هبة الله ابن سلامة : وهي إحدى السور السبع عشرة المختلف في تنزيلها » .

والمعوقات نزلتا بالمدينة وقيل نزلتا بمكة - والله أعلم - ولم يرد في كلام ابن أبي طلحة ذكر « الحجرات والجمعة والمنافقون » . وهي من السور المدنية - والله أعلم ..

كتاب الوحي

كتاب الوحي منهم من كان في مكة من أول البعثة إلى الهجرة ومنهم من كان في المدينة بعد الهجرة .

أما من كانوا في مكة فهم : عبد الله بن أبي السرح ، وأبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعليُّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص ، وحنظلةُ بن ربيع الأسدي ، ومعيص بن أبي فاطمة ، وعبد الله الأرقم الزهري ، وشرحبيل بن حسنة .

وفي المدينة

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان من كتاب الوحي أيضا : زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب (وهما أنصاريان) وأبان بن سعيد بن العاص (مهاجر) ومعاوية ابن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، وعبد الله بن رواحة ، وثابت بن قيس .
رضى الله عنهم أجمعين .

ترتيب القرآن الكريم وجهه

الكتابُ الكريمُ الذي أوحاه الله إلى خاتم أنبيائه محمد ﷺ هدى ونورا للعالمين نزل متفرقا على حسب الحوادث ، ثم جُمع فكان ذلك الكتاب الإلهي الذي جعله الله آية خالدةً يهتدى بنوره العالمون ، ويعشوا إلى ضوئه التائبون ، وقد وعد الله عز وجل بحفظه ، فلا يناله المحرفون المبدلون ، فقال تعالى :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١) .

في حياة النبي ﷺ :

بدأ نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وهو في مكة ، وكان أول ما نزل منه في غار حراء :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٢)

ثم توالى نزوله على حسب الحوادث حتى تم في نحو ثلاث وعشرين سنة . وكان رسول الله ﷺ جعل له كُتَابًا يكتبونه منهم الخلفاء الأربعة ، والزبير بن العوام ، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص ، والعلاء بن الحضرمي وأبي بن كعب وغيرهم .

وكان جبريل يعلم رسول الله أن يضع آية كذا في موضع كذا على الترتيب الذي هو عليه الآن .

١ - سورة الحجر « ٩ »

٢ - سورة العلق « ١ »

وكان القرآن في مدة النبي ﷺ متفرقا في صدور الرجال ، وقد كتب الناس منه في صحف ، وفي جريد وفي لخاف ^(١) وظرر ^(٢) وفي خزف وغير ذلك .

في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

في سنة اثنتي عشرة للهجرة دارت رحى حرب في اليمامة بين جيش المسلمين الذي أوفده الخليفة أبو بكر بقيادة خالد بن الوليد وأهل الردة من أتباع مسيلمة الخنفي الكذاب ، وكانت المعركة شديدة قاسية أبلى فيها المسلمون بلاء حسنا ، واستشهد من الصحابة كثيرون ، وكثر القتل في قراء القرآن ، لأنهم كانوا في مقدمة المقاتلين لإخماد نار الفتنة التي أثارها مسيلمة بعد موت رسول الله ﷺ .

ذهب عمر إلى الخليفة أبي بكر رضي الله عنهما وقال له : إن القتل قد استحر ^(٣) يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن ، فيذهب من القرآن كثير ، وإني أرى أن يجمع القرآن .

وهكذا أشار عمر على أبي بكر بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراء كأبي وابن مسعود وزيد وغيرهم ، فقال له أبو بكر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : هو والله خير .

يقول أبو بكر : فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر عمر ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

فأرسل أبو بكر لزيد بن ثابت رضي الله عنهما وعهد إليه بهذا الأمر ، وقال له :

١ - اللخاف : جمع لخفة وهو حجر أبيض عريض رقيق .

٢ - الظر : حجر له حد كحد السكين والجمع ظرور وطار مثل رطب ورطاب .

٣ - استحر : اشتد .

إنك رجل شاب عاقل ، لا تتهمك ، قد كنت تكتب لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمه (١) .

قال زيد : فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن .

يقول زيد : فتتبعُ القرآن أجمعه من الرقاع والعسب (٢) واللخاف ، وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمية - أو أبي خزيمية الأنصاري - لم أجدها مع أحد غيره (٣)

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ... ﴾ . خاتمة براءة .

وبذل زيد جهده في الجمع حتى اجتمع القرآن كله في مصحف واحد ، حفظه أبو بكر عنده حتى توفاه الله ، ثم كان عند عمر معظمًا مكرما حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة ابنته أم المؤمنين لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته ، وظلت هذه الصحف عندها حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه .

وهذا من أحسن وأجلّ وأعظم ما فعله الصديق رضي الله عنه ، فإنه أقامه الله تعالى بعد النبي ﷺ مقاما لا ينبغي لأحد من بعده : قاتل الأعداء من مانعي الزكاة ، والمرتدين ، والفرس والروم ، وأنفذ الجيوش ، وبعث البعث والسرايا ، ورد الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ

١ - الذي رشع زيدا لهذا العمل الجليل أربع صفات مقتضية لخصوصيته بذلك .

كونه شابا فيكون أنشط لما يطلب منه .

وكونه عاقلا فيكون أوعى له .

وكونه لا يتهم فتطمئن النفس إليه .

وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له .

وهذه الصفات التي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن متفرقة .

٢ - العسب : جمع عسيب وهو سعف النخل .

٣ - معنى قول زيد : « لم أجدها عند أحد غيره » أي أنه لم يجدها مكتوبة عند أحد إلا خزيمية ، فالذي انفرد به خزيمية

هو كتابتها لا حفظها ، فقد كان جمع كبير من الصحابة يحفظون خاتمة سورة التوبة في صدورهم ...

من حفظه كله ، وكان هذا من سر قوله تعالى :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

فجمع الصديق الخير ، وكفَّ الشرور ، رضى الله عنه وأرضاه ، يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه : « أعظمُ الناس أجرا في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين » . - هذا إسناد صحيح ..

في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه :

أدت الفتوحات الإسلامية إلى انتشار المسلمين في الآفاق ، وكان حذيفة بن اليمان ممن شهدوا فتح أرمينية وأذربيجان ببلاد فارس ، وكان في الغزوة ناس من العراق والشام والحجاز ، ووجدهم حذيفة يختلفون في القراءة على حسب اختلاف لغاتهم مثل التابوت كان يقرأها بعضهم بالتاء ، وبعضهم بالهاء .

فلما قدم حذيفة المدينة دخل إلى عثمان رضى الله عنها قبل أن يدخل إلى بيته ، فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .

فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت إليه بها ، فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف .

وقال عثمان للرهط القرشيين : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ^(١) فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف ، في المصاحف ردَّ عثمانُ الصحفَ إلى حفصة ، وأرسل إلى كل مصر بمصحف مما نسخوا وأمر

١ - وللبخارى من رواية شعيب بن أبى حمزة : « في عربية من عربية القرآن » والمراد إذا اختلفتم في رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذى يوافق لغة قريش ولهجاتها فإنه نزل بها لأنها لغة رسول الله ﷺ ، وأفصح لغات العرب ، وإنما أقرأ جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بغيرها من لغات العرب ولهجاتهم رخصة ليسهل عليهم ترتيله بغير تكلف يشغل عن تدبره .

الناس بأن ينسخوا مصاحفهم منها ، وأمر بإحراق كل ما خالفها ، وكان ذلك سنة ثلاثين من الهجرة ، والمصاحف التي أرسلت إلى الآفاق قيل كانت خمسة وقيل أربعة ، وقال أبو حامد السجستاني : كتب عثمان سبعة مصاحف .

ترتيب سور القرآن :

قال قوم من أهل العلم : إن تأليف سور القرآن على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ ، وروى يونس عن ابن وهب قال : سمعت مالكا يقول : إنما أُلّف القرآن - أي رُتبت سورُه - على ما كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ .

وذكر أبو بكر الأنباري : أن رسول الله ﷺ أخذ عن جبريل عليه السلام هذا الترتيب ، وهو كان يقول : « ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن » . وكان جبريل عليه السلام يقفُه على مكان الآيات - أي يحدد له مكان كل آية من سورتها .

وقال القاضي أبو بكر الطيب : يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة ، وإلى هذا القول يميل بعض أهل العلم .

« والله أعلم » .

تفسير القرآن الكريم بالرأي

عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ ، فَقَدْ أَخْطَأَ »

أخرجه الترمذى وأبو داود

قال ابن الأثير الجزرى :

« مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِهِ » : النَّهْيُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ الْاِقْتِصَارُ عَلَى النَّقْلِ وَالْمَسْمُوعِ وَتَرْكُ الْاِسْتِنبَاطِ ، أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ : أَمْرٌ آخَرَ ، وَبَاطِلٌ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ : أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا بِمَا سَمِعَهُ ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَدْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ ، وَاخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِهِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا قَالُوهُ سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِنَّ النَّبِيَّ دَعَا لَا بِنِ عِبَاسٍ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ فَهِّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ »

فإن كان التأويلُ مسموعاً كالتنزيل ، فما فائدة تخصيصه بذلك ؟

وإنما النهيُ يُحْمَلُ عَلَى وَجْهَيْنِ :

أحدهما : أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الشَّيْءِ رَأْيٌ ، وَإِلَيْهِ مِيلٌ مِنْ طَبْعِهِ وَهَوَاهُ ، فَيَتَأَوَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى وَفْقِ رَأْيِهِ وَهَوَاهُ ، لِيَحْتَجَّ عَلَى تَصْحِيحِ غَرَضِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ الرَّأْيُ وَالْهَوَى لَكَانَ لَا يَلُوحُ لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ ذَلِكَ الْمَعْنَى .

وهذا النوع يكون تارةً مع العلم ، كَالَّذِي يَحْتَجُّ بِبَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى تَصْحِيحِ بَدْعَتِهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالآيَةِ ذَلِكَ وَلَكِنْ يُلْبَسُ عَلَى خُصْمِهِ .

وتارةً يكون مع الجهل ، وذلك إذا كانت الآية محتملةً ، فيميلُ فهمه إلى الوجهِ الذى يوافقُ غرضه ، وبترجُّح ذلك الجانبِ برأيه وهواه فيكون قد فسّر برأيه ، أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه .
وتارةً يكون له غرضٌ صحيح ، فيطلب دليلاً من القرآن ، ويستدلُّ عليه بما يعلم أنه ما أُريد به^(١) ، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول :

قال الله تعالى : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾^(٢) ويشير إلى قلبه ، ويومئء إلى أنه المراد بفرعون .

وهذا الجنسُ قد استعمله بعضُ الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسیناً للكلام ، وترغيباً للمستمع ، وهو ممنوع .

وقد استعمله الباطنيةُ في المقاصد الفاسدة ، لتغريب الناس ، ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل ، فَيَنْزِلُونَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ وَفْقِ رَأْيِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ عَلَىٰ أُمُورٍ يَعْلَمُونَ قَطْعًا : أنها غير مراده .

فهذه الفنون : أحد وجهي المنع من التفسير بالرأى

والوجه الثاني :

أن يسارعَ إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار^(٣) بالسماع والنقل فيما يتعلقُ بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة ، وما فيه من الاختصار ، والحذف والإضمار ، والتقديم والتأخير ، فمن لم يُحكِّم ظاهر التفسير ، وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية ، كثر غلطه ، ودخل في زمرة من فسّر القرآن بالرأى .

فالنقلُ والسماعُ لا بدَّ منه في ظاهر التفسير أولاً ، ليتقى به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسعُ التفهُّم والاستنباطُ ، والغرائبُ التى لا تفهَّمُ إلا بالسماع كثيرة ، ولا مطمع في الوصول

١ - أى مع علمه بأن المعنى الذى يريد من الاستدلال ليس هو المقصود الأصلى من الآية المُستدل بها .

(٢) سورة النازعات : ١٧ (٣) استظهار : استعانة

إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، ألا ترى أن قوله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ معناه : آية مبصرة ، فظلموا بها أنفسهم بقتلها ، فالناظرُ إلى ظاهريّة العريبيّة ، يظنُّ أن المرادُ به : أن الناقةَ كانت مبصرةً ، ولم تكن عمياءً ، ولا يدري بماذا ظَلَمُوا ، وأنهم ظَلَمُوا غيرهم أو أنفسهم ، فهذا من الحذفِ والإضمارِ .
وأمثالُ هذا في القرآنِ كثير ، وماعدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهيُ إليه ، والله أعلم .

« جامع الأصول في أحاديث الرسول للإمام المبارك بن محمد : ابن الأنسير الجزري (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) الجزء الثاني .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا ^(١) مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) .

وفي رواية أن النبي ﷺ قال : « اتقوا الحديثَ عني إلا ما علمتم ، فمن كذبَ عليّ متعمداً فليتبوأ مقعدهُ من النار ، ومن قال في القرآن برأيه ، فليتبوأ مقعده من النار » .
أخرجه الترمذي ، وأخرجه أحمد في المسند ، والطبري في جامع البيان .

(١) فليتبوأ : أي فليتخذ له مباداة ، يعني منزلاً .

وقول في تفسير القرآن بالرأى

وقال أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى « ٥٤٤هـ » في التعليق على قوله ﷺ :

(من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) .

ومعنى هذا : أن يُسأل الرجلُ عن معنى في كتابِ الله فيتسورَ عليه - أى يجترىء - ويعتدى - برأيه دون نظر فيما قال العلماء ، واقتضته قوانينُ العلم كالنحو والأصول ، وليس يدخل في هذا الحديث أن يُفسرَ اللغويون لِقَتَهُ ، والنحاة نَحْوَهُ ، والفقهاء معانيه ، ويقول كلُّ واحدٍ باجتهاده المبنى على قوانينِ عِلْمٍ ونَظَرٍ فإن هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلًا بمجرد رأيه .

وكان جِلَّةً من السلفِ الصالحِ كسعيد بن المسيب ، وعامرِ الشعبي وغيرهما ، يعظّمون القرآن ، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقدّمهم ، وكان جِلَّةً من السلف كثيرٌ عددهم يفسرونه ، وهم أبقوا^(١) على المسلمين في ذلك ... رضى الله عنهم .

(١) أبقوا : مأخوذ من قولهم أبقيت على فلان إذا أسفقت عليه ورحمته .

القرآن الكريم أعظم معجزات النبي ﷺ

« ١ »

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (مامن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشرُ وإنما كان الذي أُوتيتُ وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)
رواه البخارى

المفردات :

الآيات : جمع آية وهي العلامة والشخص وتُجمع أيضا على آى وتأتى بمعنى العبرة وتُجمع على آى فقط ، والآية من القرآن « كلامٌ متَّصلٌ إلى انقطاعه »
وحيا : الوحيُّ هو الكلامُ الخفيُّ والإلهامُ ، وكلُّ ما ألقينته إلى غيرك ، والرسالةُ والإشارةُ والكناية .

المقصودُ من الحديث النبويِّ السابق المقارنةُ بين المعجزات التي منَّحها الله كلَّ نبيٍّ من الأنبياء فيما سبق ، وبين القرآن الكريم الذي جعله الله آية الآيات ، ومعجزة المعجزات لخاتم الأنبياء صلواتُ الله عليهم أجمعين .

ويشير الحديث إلى أن كلَّ نبيٍّ من الأنبياء اختصَّ بما يُثبتُ دعواه من حوارق العادات بحسب زمانه ، وما يُناسبُ عقليةَ أمته ، وما اشتهر عندها من أنواع الفن ، وما شاع من ثقافة .

- ففي زمن موسى بن عمران عليه السلامُ شاع السحرُ واشتهر بين الناس ؛ لهذا

آمن بنو إسرائيل بموسى لما فاقت معجزته ما اشتهر في زمانهم ، ورأوا في قلب العصا ثعبانا
أمراً خارقاً للعادة .

- وأمن مَنْ آمن بعيسى بن مريم عليها السلام لما أُعيت معجزته طبُّ الأطباءِ
كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص - بإذن الله - فلم يجدَّ العقلاءُ بدءاً من التسليمِ
له ، والإيمان بما جاء به من عند ربه .

ومن معجزات الأنبياء : إلانة الحديد لداود ، واستحالة النار برداً وسلاماً لإبراهيم
الخليل ، وتسخير الريح لسليمان عليهم وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم .

ومعلوم أن كلَّ رسولٍ قبل نبينا محمدٍ صلى الله وسلم عليهم أجمعين كانت رسالته
قاصرة على قومٍ دون غيرهم ، وفي زمنٍ محدود ، لهذا صحَّ أن تكون معجزته مؤقتة تقمُّ
حجةً في وجه هؤلاء الذين أرسل إليهم فقط .

ولما كانت رسالة نبينا محمدٍ ﷺ عامةً للناس كافةً ، وخالدةً باقيةً إلى يوم القيامة فلا
بدأ أن تكون معجزته ﷺ قائمةً أمام كلِّ جيل ، وفي كلِّ أمةٍ وزمانٍ إلى يوم القيامة
ولاشيء يصحُّ لذلك سوى القرآن الكريم فإنه معجزةٌ خالدةٌ مدى الزمان .

والنبي محمدٌ ﷺ بعثه الله إلى الناس كافةً ، وهو عربي نشأ بين قومٍ كانوا في الغاية
من البلاغة ، وكانت بها مفاخرهم فيما بينهم حتى كانوا يعلقون أبلغ قصائدهم على بابِ
الكعبة ، ونزل القرآن الكريمُ باللغة العربية ، وتحذَّاهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله فلم يقدرُوا
على ذلك ، لأنَّ القرآنَ الكريمَ في أعلى طبقاتِ البلاغة ، وأسلوبه يعلم ما كان معهوداً بين
أهلِ البلاغة من العرب حتى حارت فيه عقولهم ، ولم يهتدوا إلى الإتيانِ بشيء من مثله مع
توافرِ دواعيهم على تحصيل ذلك ، وتقريع القرآن لهم على عجزهم عنه ، ولذلك رتب النبيُّ
عليه السلام على ذلك قوله : (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) .

وأشار الرسول ﷺ إلى أن معجزته التي تحدى بها قومه ليست كمعجزة غيره من
الأنبياء بقوله : (وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحاه الله إليّ) وهو القرآن الكريم .

ويقارن المحافظ بين معجزات الأنبياء ومعجزة القرآن الكريم فيقول :
- إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا مَنْ حضرها
ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة .

- وأيضا المعجزات الماضية كانت حسية تُشاهدُ بالأبصار كعصا موسى عليه السلام
ومعجزة القرآن تُدركُ بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر ، لأن الذي يُشاهدُ بعينهِ
الرأس ينقرضُ بانقراض مَنْ شاهدَه والذي يُشاهدُ بعينهِ العقل باقٍ مابقى العقلُ

وقد حقق له ربُّه ما تمناه فإنه أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة ، وهذا علمٌ من أعلام
النبوّة ، فإنه أخبر عليه السلام بهذا في زمنِ قلةِ المسلمين ، ثم نصر الله المسلمين وأعانهم
ففتحوا البلاد ، ودخل الناسُ في دين الله أفواجا حتى انتشر الإسلام في أقطار الأرض
ونواحيها ، ولله الحمدُ على نِعَمِهِ التي لا تُحصى ، ولله الحمدُ على نعمة الإسلام ، ونعمة
الإيمان ، ونعمة القرآن الذي هو أعظمُ معجزاتِ النبي ﷺ وأعمُّها وأكثرها فائدةً ، لأنه
يشتمل على الدعوة والحجّة ، ويُنتفعُ به إلى يوم القيامة .

ويؤخذُ من الحديث :

تأييدُ الله الأنبياءَ بالمعجزات التي تدلُّ على صدق دعواهم .

- تنوعُ المعجزاتِ للأنبياءِ لحكمة .
- فضلُ القرآنِ وأنه المعجزةُ الخالدةُ المستمرةُ وبدوامها يتجددُ الإيمان ، ولهذا يكثرُ أتباعُ
النبي ﷺ في كلِّ زمانٍ ومكان .

« ٢ »

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

الإسراء آية ٨٨

قال الكفار حين سمعوا القرآن الكريم : لو نشاء لقلنا مثل هذا ، فأكذبهم الله تعالى ، فبلاغة القرآن فوق كل بلاغة ، والإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين ، وما زال القرآن معجزة خالدة باقية دائمة حتى تقوم الساعة تشهد للنبي محمد ﷺ بالصدق ، وأنه نبي مرسل ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

لقد تحدى القرآن مشركى العرب وهم في أوج فصاحتهم وبلاغتهم أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا ، ولكنهم كابروا وقالوا : إن النبي ﷺ تقوله - أى أنه ليس من عند الله -

فأنزل الله عز وجل :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (١)

ثم أنزل تعجيزاً أبلغ من ذلك فقال :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ (٢)

فلما عجزوا ، تحداهم أن يأتوا بمثل سورة من سوره القيصار ، فقال جل شأنه :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٣)

وقال تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١)

والأمر في قوله تعالى « فَأْتُوا بِسُورَةٍ » معناه التعجيز ، لقد قال المشركون لما سمعوا القرآن : ما يشبه هذا كلامَ الله ، وإنا لفي شكٍّ منه ، كما قالوا إنه سحرٌ ، وإنه شعرٌ ، وإنه أساطيرُ الأولين ، فتحداهم القرآنُ أن يأتوا بسورةٍ مثله ، وبيّن أنهم لم يفعلوا ذلك ، ولم يطبقوا معارضتهُ ، كما بيّن أنهم لن يفعلوا ذلك مدى الزمانِ ، ومهما ارتقى العقلُ ، وتطوّرتِ معارفُ الإنسان .

وفي قوله تعالى : « ولن تفعلوا » إثارةٌ لهميمهمُ ، وتحريكٌ لنفوسهم ليكونَ عجزهم بعد ذلك أبدعَ ، وهذا أيضا من الغيوب التي أخبر بها القرآنُ الكريمُ قبل وقوعها ، فقد ارتقتِ العقليةُ العربيةُ ، وازدهرتِ البلاغةُ ، وتنوّعتِ الثقافةُ ، وتقدّمتِ العلومُ والمعارفُ وما زال البشرُ ولن يزالوا عاجزين عن معارضةِ سورةٍ قصيرةٍ من سور القرآن الكريم .

ومن أمثلة فصاحة القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢)

فقد أنبا سبحانه وتعالى في إيجاز وإعجاز : عن الموتِ ، وحسرةِ الفوتِ ، والدارِ الآخرةِ وثوابها وعقابها ، وفوزِ الفائزين ، وتردىِ المجرمين والتحذير من الاغترارِ بالدنيا ، ووصفها بالقلّةِ بالإضافة إلى دار البقاء في هذه الآية الكريمة .

وفي شطر آية أنبا سبحانه وتعالى عن قصص الأولين والآخريين ومآل المنكرين

الجاحدين ، وعواقب المهلكين فقال :

﴿ فَمَنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصِّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا ﴾ (١)

ومن فصاحة القرآن أن الله تعالى ذكر في آية واحدة : أمرين ونهيين وخبرين ،
وبشارتين ، ولتندبر قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢)

إلى غير ذلك من الآيات التي هي أعلى طبقات الإحسان ، وأرفع درجات الإيجاز
والبيان ، إنه كلام رب العالمين ، أنزله على خاتم النبيين ، لينقذ به من الضلالة ، ويهدي
إلى صراط مستقيم .

إن الفصيح من البشر يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ، ثم لا يزال
ينقحها ، وبعضهم كان ينقح قصيدته حولا كاملا ، ثم تُعطى لآخر بعده فيأخذها ينظر
فيها فيبدل وينقح ، ويضع لفظة مكان أخرى وهكذا ثم لا تزال بعد ذلك فيها مواضع
للنظر والبدل ، ومواطن للنقد والخلل .

أما كتاب الله تعالى فلو نزعته منه لفظة ، ثم أُدير لسان العرب أن يوجد أحسن منها
لم يوجد .

فالقرآن الكريم آية في حسن تأليفه ، والثمام كلماته ، وبديع نظمه ومخالفته لكل نظم
معهود في لسان العرب وفي غيرها ، وفيه من الإخبار بالمغيبات ، وبما كان وما سيكون ، ومن
الحكم والمواظع والعبر ، والشرائع والأحكام ، والقصص ما يشهد للنبي محمد ﷺ بالصدق

(١) سورة العنكبوت : ٤٠

(٢) سورة القصص : ٧

فما بلغ عن ربّه وهو النبيّ الأميُّ الذي لم يرحلْ لطلبِ علمٍ ، ولم يختلفْ إلى معلّمٍ ولم يقرأ كتبَ الماضين قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١)

جاء في صحيح مسلم أن أنيساً أخا أبي ذر ، قال لأبي ذر : لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله ، قال أبوذر : فما يقول الناس ؟ قال ، يقولون : شاعرٌ ، كاهنٌ ، ساحرٌ ، وكان أنيس أحد الشعراء .

فقال أبوذر : ما تقول أنت ؟

قال أنيس : لقد سمعتُ قولَ الكهنةِ ، فما هو بقولهم ، ولقد وضعتُ قوله على أقرء الشعرِ (٢) فلم يلتئم على لسانِ أحدٍ بعدي أنه شعرٌ ، والله إنّه لصادقٌ ، وإنهم لكاذبون) .

نعم . . إن للقرآن حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يعلو . . وإنه ليس من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن بل لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالت : « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » (٣)

إنه آية الآيات في البلاغة والفصاحة والبيان والروعة والتأثير . . فاللهم انفعنا ببركة القرآن .

(١) سورة الجمعة : ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٢) أقرء الشعر : قوافيه وطرقه وبحوره والمفرد قره .

(٣) سورة الجن : ١ ، ٢٦

دعاء

من دعاء علمه النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه :
« اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام أسألك
يا الله يا رحمنُ بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن
تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري وأن تفسيل به بدني ، فإنه لا يعينني على الحق
غيرك ولا يؤتينيهِ إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » ...



القسم الثاني

منزلة السنّة النبويّة
من القرآن الكريم

أولاً: لمحة تاريخية

قال الإمام الحافظ / جلال الدين السيوطي المتوفى عام أحد عشرَ بعد التسعمائة من الهجرة النبوية في كتابه « مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة » .

« إن مما فاح ربحه في هذا الزمان - أي القرن العاشر من الهجرة - وكان دارسا « ١ » بحمد الله منذ أزمان ، هو أن قائلاً رافضياً زنديقاً أكثر في كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية - زادها الله علواً وشرفاً - لا يُجْتَجُّ بها ، وأن الحجّة في القرآن خاصة . ثم قال : « سمعت هذا الكلام بجملته ؛ وسمعه منه خلائقٌ غيرى » .

ثم قال : وأصلُ هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة وطائفةً من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاعتصار على القرآن ، وهم في ذلك مختلفو المقاصد » .

ومن ذلك يتبين أن القول بعدم الاحتجاج بالسنة النبوية قولية أوفعية ليس من بدع عصرنا الحاضر - القرن الرابع عشر من الهجرة - إذ فاحت لذلك القول رائحة في مناطق متعددة من وطننا الإسلامي ، ودعاوى أصحابه لاتستند على رأى أصيل ، وحججهم أوْهى من خيوط العنكبوت .

ونشأة هذه الفتنة ترجع إلى دخول طوائف في الإسلام رغبةً أورهبةً لا عن صدق وإيمان صحيح ، وظل هؤلاء المنافقون يتحينون الفرص للكيد لهذا الدين إلى أن وقع الخلاف بين بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وحدثت فتنة سياسية بعد مقتل الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فبدأت طوائف المنافقين تكشف عن

نواياها بصور متعددة منها : إنكار السنة ، والقول بعدم الاحتجاج بها .
والذين طعنوا في السنة النبوية كانت تجمعهم الرغبة في الكيد للإسلام ، وإن كانت
المعتقدات الخاصة بكل طائفة منهم تفرقهم إذ كان منهم من أنكر نبوة الرسول محمد
ﷺ ، ورأى أن جبريل أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين محمد بن عبدالله ﷺ - تعالى
الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - ولهذا الاعتقاد الفاسد السقيم رفض هذا الفريق
مارؤى عن النبي محمد ﷺ في بيان الأحكام .

ومنهم من أقر للنبي محمد ﷺ بالنبوة ولكن قال : إن الخلافة كانت لعلي بن أبي
طالب رضي الله عنه ، وطعنوا في اختيار الصحابة أبا بكر الصديق رضي الله عنه خليفة
للمسلمين ، وجهروا لذلك بكفر الصحابة - والعياذ بالله - كما جهروا بعد ذلك بكفر علي بن
أبي طالب رضي الله عنه لعدم قيامه بطلب حقه ، وبنسى هؤلاء الزنادقة على ذلك ردَّ
الأحاديث كلها ، لأنها عندهم بزعمهم الفاسد من رواية قوم كفار - فإننا لله وإنا
إليه راجعون - .

هكذا نشأت تلك الفتنة بهذا القول الباطل ، وكلما خبت نارها ظهر لها شرار من حين
إلى آخر ، وقد تصدى أئمة المذاهب الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم
للرد على هؤلاء الزنادقة ، وبينوا للناس أباطيلهم ، وأقاموا الحججة عليهم ، ومع مرور الأيام
تشعبت الأهواء بأهل الباطل هؤلاء فصاروا أحزاباً متعددة ، وكثرت يحلهم ودعاواهم مع
مرور الأزمان ، وحفظ الله دينه من كيد الكائدين ، ومكر الماكرين : « ولا يحقُّ المكُرُّ
السِّيءُ إلا بأهله » .

الأصل الثاني

القرآن الكريم هو الأصل الأول للدين الإسلامي ، والسنة النبوية الشريفة هي
الأصل الثاني من أصوله ، وهي خادمة للقرآن وشارحة له ، ولا حاجة إلا فيما قال الله تعالى
أوقال رسوله ﷺ ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويُردَّ لإرسول الله ﷺ ، إذ أمرنا الله
باتباعه ، وجعل طاعته والرضا بحكمه شرطاً في صحة الإيمان .

والصحابية رضوان الله عليهم أجمعين هم الذين نقلوا سنة الرسول ﷺ نقلاً أميناً وإعياً بالأفعال والأقوال ثم أخذ التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ ، واجتهد المسلمون في تدوين السنة وكتابة الحديث حتى صار فيما بعد علماً مستقلاً مضبوطاً مصاناً من الدخيل .

وفي عصر عمر بن عبدالعزيز شاع التدوين في الحديث وكثر من ألف فيه ، ونشطت همم العلماء والمحدثين للتمييز بين الصحيح والسقيم والشريف والدخيل حتى صارت الأحاديث الصحيحة والسنة الثابتة أمام الأجيال تلقى مزيداً من العناية جيلاً بعد جيل .

على سبيل المثال :

وكتب الصحاح ومنها صحيح البخاري تناوها أهل العلم بالتدقيق والمراجعة على أسس وأصول علمية سليمة ليبنوا للناس ما قد يكون اختلط بها من الأحاديث الضعيفة ، وقد تتبع الحافظ صحيح البخاري الذي يشتمل على ٢٦٠٢ من الأحاديث غير المكررة فلم ينتقد عليه الحافظ غير عشرة ومائة حديث وقال : وليست عللها كلها قاذحة ، بل بعضها الجواب عنه ظاهر ، وبعضها الجواب عنه محتمل ، واليسير منها في الجواب عنه تعسف » .

وفي الجامع الصحيح - وهو سنن الترمذي - اعتنى الترمذي نفسه كل العناية في كتابه بتعليل الحديث ، فيذكر درجته من الصحة أو الضعف ، ويفصل القول في التعليل والرجال تفصيلاً جيداً ، وصار كتابه بذلك كأنه تطبيق عملي لقواعد علوم الحديث خصوصاً علم العلل .

وجهود العلماء المخلصين في خدمة السنة النبوية الشريفة لا ينكرها مسلم إذ كانت ثمرة تلك الجهود وجود هذا الكنز الثمين من الأحاديث الصحيحة والسنة النبوية الثابتة في كتب الصحاح المعروفة ، وما تفرع عنها مما ألفه المؤلفون على توالي العصور إلى عصرنا هذا من مختصرات ومختارات وشرح وتحليل - والحمد لله رب العالمين - .

والمسلم ينبغي له أن يغار على دينه ، وأن يرجع إلى الحق دوماً ، وأن يعضَّ على سنة النبي الأمين ﷺ بالنواجذ .

أخرج البيهقي بسنده عن أبي أيوب السخيتاني قال : « إذا حدثت الرجل بسنة ، فقال : دعنا من هذا وأنبئنا عن القرآن الكريم فاعلم أنه ضالٌّ » .

وأخرج البخاري عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « بلِّغوا عني ولو آية ، وحدثوا عني ولا تكذبوا عليَّ فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

توقير الصحابة وصدقهم :

عُرِفَ عن أصحاب رسول الله ﷺ الصدقُ والإخلاصُ ، والحذقُ وصفاءُ الذهن ، والرغبةُ في خدمة الدين ، وكانوا جِدَّ حريصين على اتباع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وأحواله ، مع الأمانة في النقل عنه ﷺ .

أخرج مالك أن رجاء حدثه أن عبدالله بن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله ويهتم به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك .

وعن قتادة : « أن إنساناً حدث بحديث فقال له رجل : أسمعت هذا من رسول الله ﷺ قال : نعم ، أوحدثني من لم يكذب ، والله ما كنا نكذبُ ولا كنا ندرى ما الكذب » .
رضى الله عنهم أجمعين .

وإنَّ أحداً عنده ذرة من الإيمان الصحيح بالله لا يمكنه أن ينكر أوبراً قولَ الصحابي إذا صحت نسبتُهُ إليه وأنه نقله عن رسول الله ﷺ أو وصف به ماشاهده من أحواله وعباداته وتقريراته ﷺ ، فأصحابُ رسول الله ﷺ وصفهم الله عز وجل بأنهم (أشداءُ على الكفارِ رُحماءُ بينهم تراهم رُكعاً سُجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيّاهم في وجوههم من أثر السُّجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجبُ الزُّراع ليغيظَ بهم الكفار »

وكفاهم بذلك فضلا وشرفا ، ومهما كان بينهم من خلاف - أحيانا - في وجهات النظر نحو مسائل خاصة إلا أنهم كانوا ملتقين على الإخلاص للدين والحرص عليه ، والعمل لإعلاء شأنه ، وكان الواحد منهم لا ينطق بما لا يعرف رضى الله عنهم أجمعين .

ثم إننا جميعا نؤمن إيمانا جازما أن نبي الله محمدًا ﷺ كان أمينا على وَحْيِ الله فبَلَّغَهُ وأشهد الله على ذلك ، بَلَّغَ القرآنَ باللفظ والمعنى ، وحفظه مَنْ حفظه من أصحابه في صدورهم ، وبَلَّغَ الأحكامَ التي أُوحيت إليه بالمعنى بَلَّغَهَا بالقول والعمل ، ثم إن الصحابة هم الذين رَوَوْا لنا القرآنَ الكريم ونحن نؤمن بذلك ونعلمه ، فكيف يسوغ لعاقل أن يرد أحاديثهم عن رسول الله ﷺ . . بل الواجب الذى يفرضه الدين ويرضاه العقل أن نقبل وأن نلتزم بما صحَّ عنهم من السنة النبوية إذ ناقلُ القرآنِ وناقلُ السنة واحدٌ وهم صحابته أنفسهم ﷺ .

ولعله قد وضع أن القول بعدم الاحتجاج بالسنة النبوية الشريفة الثابتة عنه ﷺ فعليةً كانت أوقوليةً ظهر منذ زمان طويل ، عن طريق المنافقين الذين دخلوا في الإسلام وقلوبهم مريضة ، وأرادوا أن يكونوا معاول هدم للإسلام باسم الغيرة عليه ، وقد واتتهم الفرصُ عندما اختلف بعضُ أصحاب رسول الله ﷺ . . فأعلنوا تكفيرهم لفضلاء الصحابة ، ومن ثمَّ رفضوا مانقله الصحابةُ من سنة الرسول ﷺ - والمؤسف حقا - أن هذه الفتنة لاتكاد تخبو ، ويتطهر الجوُّ من رائحتها الكريهة حتى تعود على نحو ما بهدف إضلال الناس عن الحق .

وهنا نود أن يسمع كلُّ من بقى في قلبه ذرة من الإخلاص لدينه ممن خدعوا بمثل هذه الدعاوى قولَ الإمام مالك رضى الله عنه :

« السنةُ سفينةُ نوحٍ مَنْ ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » .

فتوى :

والفتوى للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله يقول :

« اعلموا رحمكم الله أن مَنْ أنكر كونَ حديثِ النبي ﷺ قولاً كان أوفعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجةً كفر وخرج عن دائرة الإسلام ، وحشرَ مع اليهود والنصارى أو مع مَنْ شاء الله من فرق الكفرة » .

فليتأمل

والله الهادي إلى سواء السبيل .

ثانياً: البيان

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١)

وقال جل شأنه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢)

وقال سبحانه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣)

وقال عز وجل ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٥)

إن هذه الآيات دلت على وجوب اتباع أمر النبي محمد ﷺ والأخذ عنه ، ولزوم طاعته ، والانقياد لكل ما جاء به فلا يسع أحداً رد أمره لفرض الله طاعته .
وقد قرن الله طاعته بطاعة نبيه في آيات كثيرة وجعل طاعتها سبباً للنجاة والفوز برضوان الله ، والإعراض عنها سبباً للعذاب والهلاك .

قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (٦)

(١) سورة الحشر : ٧

(٢) سورة النحل : ٤٤

(٣) سورة النور : ٦٣

(٤) سورة الفتح : ١٧

(٥) سورة محمد : ٣٣

(٦) سورة الشورى : ٥٢

ذكر ابن عبد البر في كتاب له عن عبد الرحمن بن زيد : أنه رأى مُحْرِمًا عليه ثيابه ،
فنهى المحرم .

فقال : ائتنى بآية من كتاب الله تنزع ثيابي - أى تأمر بأن ينزع الرجل المحرم
المخيط - قال : فقرأ عليه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .
وكان طاووس يصلى ركعتين بعد العصر ، فقال ابن عباس (اتركهما) فقال : إنما نهى
عنها أن تُتخذَا سُنَّةً .

فقال ابن عباس : قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد العصر فلا أدرى أتعذبُ
عليهما أم تُؤجر ؟ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (١) .

تشرع الرسول بوحي وإن لم ينزل قرآن :

روى أبو داود عن المقدم بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ألا وإنى
أوتيتُ الكتابَ ومثله معه ، ألا يوشك رجلٌ شبعان على أريكة يقول : عليكم بهذا القرآن
فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلوه وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرّموه ، ألا لا يحلُّ لكم الحمارُ
الأهليُّ ولا كلُّ ذى نابٍ من السباع ولا لُقطة معاهدٍ ، إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن
نزل بقوم فعليهم أن يُقرّوه فإن لم يُقرّوه فله أن يُعقِبَهُمْ بمثل قرأه) .

قال الخطابي :

قوله : أوتيتُ الكتابَ ومثله معه (يحمل وجهين) .

أحدهما : أن معناه أنه أوتى من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر
المتلو .

الثانى : أنه أوتى الكتاب وحيًا يتلى ، وأوتى من البيان مثله أى أذن له أن يبين ما في

الكتاب فيعم ويخص وي زيد عليه ، ويشرع ما في الكتاب ، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلوم من القرآن .

وقوله : (يوشك رجل شبعان) الحديث ، يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التي سننها مما ليس له في القرآن ذكر .

« والأريكة : السرير » وأراد أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ، ولم يطلبوا العلم من مظانه . وقوله (فله أن يعقبهم بمثل قرأه) : هذا في حال المضطر الذي لا يجد طعاما ويخاف التلف على نفسه فله أن يأخذ من ما لهم بقدر قرأه - أى ما يكفى طعامه وسد جوعه - عوض ما حرموه من قرأه .

ويُعقبهم : يُروى مشدداً ومخففاً من المعاقبة .

وفي هذا الحديث دلالة على : أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يُعرض على الكتاب ، فإنه مها ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجة بنفسه .

وفي الحديث أيضا حرم النبي ﷺ الحمار الأهلى وكل ذى نابٍ من السباع ولقطة المعاهد إذا لم يستغن عنها ، ولم يرد لذلك نص صريح في القرآن ، وقال رسول الله ﷺ يحذر المعرضين عن سنته : (يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث بحديثي فيقول : بينى وبينكم كتابُ الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرّمناه ألا وإن ما حرم رسولُ الله ﷺ مثل ما حرم الله) .

قال البيهقي : وهذا خبر من رسول الله ﷺ عما يكون بعده من ردّ المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده .

ومن الآيات السابقة وغيرها ومن الحديثين السابقين يتضح لنا :

أن المسلم لا يستطيع أن يعبد الله حقَّ عبادته ، وأن يؤدي فرائضه على الوجه الذي طلبه الله من عباده إلا إذا عمل بالسنة النبوية .

- أن الذين تعلقوا بظاهر القرآن الكريم - قديما وحديثا - وتركوا السنة التي قد ضمنت بيان الكتاب ضالون مضلون وليسوا على طريق الإسلام ، وإن ماتوا على إنكارهم السنة الصحيحة ماتوا على الكفر والعياذُ بالله .

- أخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة المكي ، أن عمران بن حصين رضی الله عنه ذكر الشفاعة ، فقال رجل من القوم : يا أبا نجيد إنكم تحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن ، فغضب عمران وقال للرجل :

قرأت القرآن ؟ قال : نعم .

قال : فهل وجدت فيه صلاةَ العشاء أربعة ، ووجدت المغرب ثلاثا ، والغداة ركعتين والظهر أربعة ، والعصر أربعة ؟ ..

قال الرجل : لا

قال عمران : فعن من أخذتم ذلك ؟ أستم عنا أخذتموه (١) وأخذناه عن رسول الله ﷺ ؟

أوجدتم في القرآن من كل أربعين شاة شاة ، وفي كل كذا بعيرا كذا وفي كل كذا درهما كذا

قال الرجل : لا ، قال : فعن من أخذتم ذلك ؟ ، أستم عنا أخذتموه ، وأخذناه عن النبي ﷺ ؟

وقال : وجدتم في القرآن ﴿ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٢) أوجدتم فيه :

(فطوفوا سبعا واركعوا ركعتين خلف المقام ؟

ثم قال عمران : أما سمعتم الله قال في كتابه :

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾

(١) أى عن الصحابة لمن بعدهم لأن الصحابة واسطة بين النبي ﷺ ومن جاءوا بعدهم من التابعين .

(٢) سورة الحج : ٢٩

البيان من النبي ﷺ :

ثم إن البيان من النبي ﷺ على ضربين :

- بيان لمجمل في الكتاب الحكيم ، كيبانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها .

عن حسان بن عطية قال : كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن

وقال الإمام أحمد : إن السنة تفسر الكتاب وتبينه .

- وبيان آخر وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها ، وتحريم الحمر الأهلية وكل ذى ناب من السباع ، والقضاء باليمين مع الشاهد وغير ذلك .

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : قد وضع الله رسوله ﷺ من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله علماً لدينه بما افترض من طاعته وحرم من معصيته وأبان من فضيلته ، بما قرن بين الإيمان برسوله مع الإيمان به فقال تبارك وتعالى : ﴿ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَلَا تَقُوْلُوْا ثَلٰثَةً اٰتَتْهُوَ خَيْرًا لَّكُمْ ، اِنَّمَا اللّٰهُ اِلٰهُ وَاَحَدٌ سُبْحٰنَهُ اَنْ يَّكُوْنَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَاِذَا كَانُوْا مَعَهُ عَلٰى اَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوْا حَتّٰى يَسْتَاْذِنُوْهُ ﴾ (٢) .

فجعل سبحانه كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله معه .

قال * : فرض الله على الناس اتباع وحية وسنن رسوله فقال في كتابه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلٰى الْمُؤْمِنِيْنَ اِذْ بَعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ اٰيٰتِهٖ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ

(١) سورة النساء : ١٧١

* أى الإمام الشافعي

(٢) سورة النور : ٦٢

الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ مع أى سواها ذكر فيهن الكتاب والحكمة

قال : فذكر الله الكتاب وهو القرآن ، وذكر الحكمة فسمعتُ من أرضاه من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة سنة النبي ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (٢) .

(فإن تنازعتم) يعنى اختلفتم فى شىء والمراد - والله تعالى أعلم - هم وأمرؤهم الذين أمروا بطاعتهم « فردوه إلى الله والرسول » ، يعنى - والله تعالى أعلم - إلى ما قال الله والرسول .

قال الشافعى : فأعلمهم أن طاعة رسول الله ﷺ طاعته فقال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

حديث باطل :

أما مرواه بعضهم أن النبي ﷺ قال : (إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه ، وإن لم يوافقه فاتركوه) .
فإنه حديث باطل لا أصل له

قال البيهقى : إن هذا الحديث ينعكس على نفسه بالبطان ، فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن .

لزوم الاعتصام بالكتاب والسنة :

روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس فى حجة الوداع فقال (إنى قد

(١) سورة ال عمران : ١٨٥

(٢) سورة النساء : ٦٥

(٣) سورة النساء : ٥٩

تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرين اثنين : كتاب الله وسنة نبيكم ، أيها الناس ، اسمعوا ما أقول لكم تعيشوا به)
وهذا الحديث ورد بعبارات متعددة وكلها تحضُّ المسلمين على التمسك بالكتاب والسنة .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : (من أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة)
وعن المطلب بن حنطب أن رسول الله ﷺ قال : (ما تركتُ شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركتُ شيئا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه)
وحاصل ذلك كله :

أن طاعة رسول الله ﷺ طاعة لله يقول تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (١)

وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي ، قالوا يارسول الله - ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) .

- وأن السنة مع الكتاب أُقيمت مقام البيان عن الله فهي مُبينَةٌ لأحكامه ومفصلةٌ لمُجملاته كما قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) ﴿٢﴾ .
- أن العمل بالسنة النبوية فرضٌ لازم .

قال الإمام أحمد بن حنبل : السنة عندنا آثار رسول الله ﷺ ، والسنة تفسيرُ القرآن ، وهي دلائلُ القرآن .



عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :
« يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْفَرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَأَعْمَالَكُمْ مَعَ
أَعْمَالِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ ^(١) مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ
الرَّمِيَةِ ، تَنْظُرُ فِي النُّصْلِ فَلَاتَرَى شَيْئًا ، وَتَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ ^(٢) فَلَاتَرَى شَيْئًا ، وَتَنْظُرُ فِي
الرَّيْشِ فَلَاتَرَى شَيْئًا ، وَتَتَّارَى فِي الْفُوقِ ^(٣) »

رواه مالك في الموطأ



(١) يخرجون بسرعة

(٢) خشب السهم

(٣) موضع الوتر ، أى يتشكك هل علق به شيء من الدم

القسم الثالث

-
- القرآن الكريم هدى ونور وشفاء لما في الصدور •
 - الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يوصينا •
 - فضل قراءة القرآن والعمل به •
 - منزلة قارئ القرآن الكريم وحامله •
 - منشورات من الدرر المأثورات •
 - استذكار القرآن وتعاهده •
 - مجالن للخير •
-

القرآن الكريم هادي ونور وشفا لما في الصدور

« ١ »

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيًّا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

الكهف من ١ - ٥

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَقَدْ حَمَدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَفْسَهُ عَلَى إِتْرَالِهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ كِتَابًا مُسْتَقِيمًا لِأَعْوَجَاجٍ فِيهِ ، وَلَا زَيْغٍ ، بَلْ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَجَعَلَهُ بَيِّنًا وَاضِحًا جَلِيًّا نَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ ، وَبَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : «وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا» .

أى : لم يجعل فيه اعوجاجاً ولا زيغاً ولا ميلاً ، بل جعله معتدلاً مستقيماً ، ولهذا قال : « قيا » أى مستقيماً ، نفى عنه العوج ، وأثبت له الاستقامة ، وجمع بينهما - وفى أحدهما

غِنَى عن الآخر - لفائدة وهي التأكيد ، فربَّ مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عَوَجٍ عند السبر والتصفح .

وفي حَمْدِ اللهِ نفسه على إنزاله القرآن الكريمَ تعليمَ لعباده كيف يُثْنون عليه سبحانه وتعالى ويحمدونه على أجزلِ نعمائه عليهم وهي نعمةُ الإسلام ، وما أنزل على عبده محمدٍ ﷺ من الكتاب الذي هو سببُ نجاتهم وفوزهم .

إن الله عزَّ وجل أنزل القرآن الكريمَ على قلبِ خاتمِ النبيين ﷺ لهدايةِ الناسِ إلى الحق ، ولإرشادهم لأقومِ الطرقِ وأوضحِ السبل ، وليخرجهم من ظلماتِ الجهلِ والكفر إلى نورِ الإيمانِ والعلمِ ، قال تعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١)

أنزل اللهُ القرآنَ الكريمَ ليرشدَ الناسَ إلى العقائدِ الصحيحةِ التي تُطَهِّرُ القلبَ من رِجْسِ الخسوعِ لغيرِ الله ، وإلى العليمِ النافعةِ التي تقيهم شرَّ الأوهامِ والخرافات ، وإلى الأخلاقِ الفاضلةِ التي تحفظُهم وتحفظُ مجتمعَهُم من مزالقِ الهوى والشهوات ، ويرشدُهم إلى الأعمالِ الصالحةِ التي تسمو بالفردِ والمجتمعِ إلى مكانةِ العزةِ والكرامةِ ، ووضعَ لهم قواعدِ المعاملاتِ ، والأحكامِ التي تحققُ للفردِ والجماعةِ التعاونَ على الخير ، والأمنَ والطمأنينةَ ، وتبعثَ على الرقيِّ المادىِّ والمعنوىِّ ، وقد أرشدَ القرآنَ الكريمَ إلى هذهِ الغايةِ الكريمةِ في كثير من الآيات .

قال تعالى في سورة الإسراء :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا . وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٢)

فالقرآن الكريم يهتدي لأوضح السبل في العقيدة ، وفي العبادات ، والمعاملات ، والفضائل والأخلاق ، ويبشر الذين آمنوا به وعملوا الصالحات على مقتضاه « أن لهم أجراً كبيراً » أمّا المعرضون عنه ، الجاحدون له فلهم في الآخرة عذاب أليم .

ويقول تعالى في سورة يونس :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّلُوبِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

وبذلك كان القرآن الكريم شافياً لأعراض القلب التي تُفسد على الإنسان حياته ، وأمراض القلب : جهلٌ بالحق ، وشبهةٌ تُضعف الإيمان ، وشهوةٌ تُفري بالفساد ، وقد تضمن القرآن ما يعالج البشرية من جهلها ، وشبهها ، ويُطهرها من أدران الشهوات والأهواء .

ولقد آمن المسلمون الأولون بأن القرآن الكريم هو الشفاءُ لأعراض القلوب ، والمنقذُ من الحيرة والضلال ، والهادي إلى صراط مستقيم لا عوج فيه ولا انحراف ، فأقبلوا على تلاوة القرآن وتدبره وحفظه ودرسه ، يستخرجون نفاسته ، ويتعرفون حكّمه وأحكامه وعيبره ومواعظه ، ثم أخذوا يعالجون به القلوب من رجس العقائد الباطلة ، والأخلاق الفاسدة ، ويدفعون به المجتمع إلى سبل الخير ومراقى الفلاح ، وطرق السعادة في الدنيا ، والفوز في الآخرة ، ولهذا سجل لهم التاريخ حياةً نقية طاهرة هي مضرّبُ الأمثال في صحة العقيدة ، وصدق الإيمان ، وسلامة اليقين ، وحبّ الخير ، والإقبال على العمل الصالح ، والانتفاع بما أودع الله في الكون من أسرار ولاغرو . . فهم خيرُ أمةٍ أُخرجت للناس ، وما ذلك إلا بفضل إيمانهم وصدقهم وحبهم لله ورسوله وكتاب الله عزّ وجل وإقبالهم على القرآن يتدبرونه ويحفظونه ويستنبطون أحكامه ، ويعملون به ، ويهتدون بهديه ، ويدعون الناس إلى الإيمان به ، وينهونهم عن الكفر والزيغ والإلحاد وعن كل منكر .

« ٢ »

قال الله تعالى في سورة الإسراء :

﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يُزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

(آية : ٨٢)

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَالنُّورِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، يَهْدِي لِلطَّرِيقِ الْأَقْوَمِ ، وَالصِّرَاطِ الْأَعْدِلِ ، فِيهِ نُورٌ لِلْبَصَائِرِ ، وَهُدَايَةٌ لِلْعُقُولِ ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ . . شِفَاءٌ مِنَ الْجَهْلِ وَأَعْظَمُ الْجَهْلِ عَدَمُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِمَا يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ .

فَمَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ ، وَصَدَّقَهُ ، وَاتَّبَعَهُ ، وَاهْتَدَى بِهُدْيِهِ شَفَى اللَّهُ صَدْرَهُ مِنَ الْآفَاتِ الْمُهْلِكَةِ كَالغُلِّ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَإِضْطِرَابِ السُّوءِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَأَذْهَبَ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ أَمْرَاضٍ : مِنْ شَكٍّ وَنِفَاقٍ وَشِرْكٍ وَزِنْعٍ وَمِيلٍ عَنِ الْهُدَى . . إِنْ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَشْفِي مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَهُوَ أَيْضًا رَحْمَةٌ لِأَنَّ بِهِ يَحْصُلُ الْإِيمَانُ وَتَقْوَى الرَّغْبَةُ فِي الْخَيْرِ ، وَيَفُوزُ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ ، الْمُصَدِّقُونَ بِمَا فِيهِ ، الْعَامِلُونَ بِأَمْرِهِ ، الْوَاقِفُونَ عِنْدَ حُدُودِهِ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتْهُ . يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ :

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (١)

إِنَّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَيْنَا حَقَّقًا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَفِي بِهَا حَتَّى نَكُونَ أَهْلًا لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ ، فَمَنْ حَقَّ الْقُرْآنَ عَلَيْنَا أَنْ نَحْضَرَ بِمَجَالِسِهِ ، لِنَسْتَمِعَ إِلَيْهِ يُتْلَى فِي خُشُوعٍ وَإِنْصَاتٍ وَتَدْبِيرٍ ، وَنَتَدَارَسَهُ ، وَنَسْأَلَ عَمَّا نَجْهَلُهُ مِنْ أَحْكَامِهِ ، وَنَتَلَمَّسَ عَيْبَهُ وَعِظَاتِهِ لِنُرَدِّعَ

النفسُ عن غيِّها ، وتسلك الصراطَ المستقيم . . يقول الحبيب المصطفى ﷺ :

« . . . وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلتْ عليهم السكينةُ ، وغشيتهم الرحمةُ ، وحفَّتْهم الملائكةُ ، وذكرهم اللهُ فيمنْ عنده . » .
 والمستمعُ إلى القرآنِ في خشوعٍ وإنصاتٍ تُسرِّعُ إليه رحمةُ الله ورضوانه ، يقول الليث : يُقال : « ما الرحمةُ إلى أحدٍ بأسرعِ منها إلى مستمعِ القرآنِ » .

يقول الله عز وجل :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) ولعلَّ من الله واجبةٌ ، ومن حقِّ القرآنِ الكريمِ علينا أن نوقِّره ، ونعوِّد أولادنا على توقيره والعناية بأمره ، والعملِ بما فيه ، ومن حَفِظَه ، وفهمَ منه ما استطاع ، عليه أن يُعلِّمَ غيره ، وأن ينشرَ خيره بين المؤمنين ، فهذا من أشرفِ الأعمالِ ، وأعظمِ المنافعِ للفردِ والجماعة ، والحبيبُ الهادي ﷺ يبيِّنُ لنا مكانةَ حاملِ القرآنِ العاملِ بما فيه فيقول ﷺ : « أشرفُ أمتي حملةُ القرآنِ » .

وتلك منزلةٌ مابعدُها منزلةٌ . . منزلةُ الحافظِ العاملِ المخلصِ لكتابِ الله عز وجل . وقد حثنا الحبيبُ الهادي ﷺ على إنارةِ بيوتنا بتلاوةِ القرآنِ الكريمِ ، ولنتدبرُ قوله ﷺ : « ألا إن أصفرَ البيوتِ ، بيتُ صفرُ من كتابِ الله » أي إن أكثرَ البيوتِ خُلُوًا من الخيرِ والبركةِ هي البيوتُ التي تخلو من أعظمِ النعمِ والبركاتِ وهو كتابُ الله عز وجل .

وإن القلبَ المحرومِ من قراءةِ القرآنِ هو محرومٌ من أعظمِ البركاتِ ، ومن أجلِّ النعمِ ولذا شبَّهه الرسولُ ﷺ بالبيتِ الحَرِبِ في وحشته وظلامه : يقول الحبيبُ الهادي ﷺ : « إن الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الحَرِبِ » والبيتُ الحَرِبُ هو المجرَّدُ

من الحياة ، ومن الأحياء ، ومن المتاع ، ومن النور ، فهو أطلالٌ وجدران لا تودى وظيفتها ، ولا تتحقق منها فائدتها .

وقد شبه الرسولُ بها ذلك الإنسان الذي حرم نفسه من بركة القرآن ، فلم يحفظ شيئاً منه ، والرسولُ ﷺ بهذا يحذر كلَّ مؤمن أن يباعد بين نفسه وبين القرآن الكريم .

إن القرآن الكريم هو كلامُ الله عز وجل نزل به الروحُ الأمين على قلب خاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ ، يهدي للتي هي أقوم ، وينقذ من الحيرة ، ويهدي من الضلالة ، ويعلم الناس حقَّ خالقهم في أعناقهم وواجباتهم نحو ربهم ، ويبين لهم الحلال والحرام ، ويرسمُ سبيلَ الفوز والنجاة والسعادة في الدارين ، أحلَّ السلفُ الصالح حلاله وحرّموا حرامه ، وعملوا بِحُكْمِهِ ، وآمنوا بِمُتَشَابِهِهِ ، ووقفوا عند حدوده ، وتزيّنوا بفضائله ، وتجمّلوا بأدابه ، فنصرهم الله ، وأيدهم ، وأمدهم بعونه في كل محنة ، وأنزل عليهم جنوده في كلِّ شدة ، فكانوا دعاةً للخير ، وهداةً إلى البرِّ ، وسنداً للعدل والسلام ، مبشرين بالإخاء والمحبة في كلِّ مكان .

أضاء القرآن الكريم صدورهم وعقولهم وبصائرهم فأثاروا الدنيا بمبادئه العادلة وقوانينه الحكيمة وحكمه وأحكامه .

فطوبى لمن أحبَّ الله ، وأحبَّ رسوله ، وأحبَّ كتابَ الله .

طوبى لمن لم يغفل عن هذا الخير العميم والنفع العام وقد رجع إليه رشده ، واعتصم بكتابِ ربه يتدبره ويهتدى بهديه سائلاً ربه عُفْراً الذنب ، وقبولَ التوب .

إن القرآن غنى لا فقر بعده ، ولا غنى دونه : كما أُرشدنا الرسول ﷺ فمن حازه علماً وعملاً فقد حاز أعظمَ النعم .

والقرآن يشفع لصاحبه ويرفع درجاته في جناتِ النعيم ، أمّا المُعرض عنه عدمُ مبالاةٍ به فإنه يُدفع في قفاه إلى النار ، ولنتدبر قولَ الحبيب المصطفى ﷺ :

« إن هذا القرآن شافعٌ مشفعٌ ، من أتبعه قاده إلى الجنة ، ومن تركه أو عرض عنه دُحٌّ - أى دُفِعَ بُعُثِفَ - في قفاه إلى النار » .

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يوفقنا لحفظ كتابه ، وأن يذكرنا مانسيناه منه ، وأن يفقهنا ويعلمنا أحكامه ، ويرزقنا الإخلاص والعمل بها ، وأن يجعل القرآن نور حياتنا على هديه نسير ، وأن يباعد بيننا وبين مخالفته كما باعد بين المشرق والمغرب .
 يارب . . نحن نقف على بابك خائفين راجين . . نسألك الأمن مما نخاف ، وتحقيق الأمل والرجاء ، وأنت الرحيم الغفور التواب فارحنا وتب علينا ، واغفر لنا . . وصلِّ على نبيِّك الهادى الحبيب وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى أن يقوم الناس لربِّ العالمين .

الرسول محمد ﷺ يوصينا

عن طلحة بن مُصَرَّف قال : (سألت عبدَ الله بنَ أبي أوفى رضى الله عنهما : هل كان النبيُّ ﷺ أَوْصَى ؟ فقال : لا ، فقلتُ : كيف كُتِبَ على الناسِ الوصيةُ أوْ (١) أمِروا بالوصية ؟ قال : « أَوْصَى بكتابِ الله (٢) » .

وفي لفظ : سئل عبدُ الله بن أبي أوفى : أوصى النبيُّ ﷺ (٣) ؟ قال : لا ، قال السائل : فكيف كُتِبَ على الناسِ الوصيةُ أمِروا بها ، ولم يُوصِ ؟ قال : (أَوْصَى بكتابِ الله عزَّ وجل)

حَدَّثَ سفيانُ عن عبدِ العزيزِ بنِ ربيعٍ قال : دخلتُ أنا وشَدَّادُ بنُ معقلٍ على ابنِ عباسٍ ، فقال له شَدَّادُ بنُ معقلٍ : أتركُ النبيُّ ﷺ من شيءٍ ؟ قال : ماتركُ إلا ما بين الدَّفَتَيْنِ ، قال : ودخلنا على محمدِ بنِ الحنفيةِ ، فسألناه ، فقال : ماتركُ إلا ما بين الدَّفَتَيْنِ .

ومعناه : أنه عليه الصلاة والسلام ماترك ما لا ولا شيئاً يُورَثُ عنه .
ومر أعرابي على عبدالله بن مسعود وعنده قوم يقرؤون القرآن فقال : ما يصنع هؤلاء ؟

(١) « أو » شك من الراوى فى أى اللفظين قال .

(٢) إنما سأله عن الوصية فى المال فقال : لا وذلك لأن ماتركه النبي ﷺ لا وارث له : « نحن معاشر الأنبياء لأنورث ماتركناه صدقة » فلما اعترض المعترض عليه بفرض الوصية أوبالامر بها . قال : أوصى بكتاب الله . لأنه الموروث بعده إلى يوم القيامة .

(٣) « أوصى » أى أوصى وهمزة الاستفهام محذوفة .

فقال ابن مسعود : (يقتسمون ميراث محمد ﷺ) وفي حديث أبي الدرداء : (إن الأنبياء لم يُورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذَه أخذَه بحظِّ وافر) ولهذا قال ابن عباس : وإنما ترك ما بين الدفتين ، يعني : القرآن ، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة ، أى تابعة له ، والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى ، كما قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .. ﴾^(١) فالأنبياء عليهم السلام لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ، ويورثونها ، وإنما خلِقوا للآخرة يدعون إليها ، ويرغبون فيها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ « ما تركناه فهو صدقة » .

إن الحبيب المصطفى ﷺ ، وهو أعلم الناس بالقرآن ، يدعو أمته إلى الخير والهدى ، ويوصي المؤمنين بكتاب ربهم ، يوصيهم بتدبيره ، وتوجيهه ، وتعلمه ، وحفظه ، وتدارسه ، والعمل بما جاء فيه ، والتحلّى بفضائله ، وتطبيق أحكامه ، والمداومة على تلاوته ، واحترام المجلس الذي يتلى فيه القرآن .

يدعونا الحبيب المصطفى ﷺ للإقبال على كتاب الله نتلوه ، ونتعلم منه ، ونتبع ما فيه ، ونتمسك به عملا وتطبيقا فيقول :

« إن هذا القرآن مآذبة الله ، فتعلموا من مآذبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبلُ الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعيب ، ولا تنقض عجايبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إنى لا أقول : ألم ، حرف ، ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر » .

ومأذبة : بضم الدال معناها الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس ، وقد شبه الرسول ﷺ القرآن بصنيع يصنعه الله عز وجل للناس ، لهم فيه خير ومنافع ، ثم دعاهم إليه .

وإن من أعطى القرآن ، فقد أعطى الخير كله ، فالقرآن أعظم ثروة ، ومن كان يحفظ القرآن لا ينبغي له أن يشكو الفقر ، فإن القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه ، ومن قرأ القرآن ورأى أن أحدا من الناس حاز أفضل مما عنده فقد أساء ، يقول الحبيب المصطفى ﷺ من حديث شريف : « ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم ما صغر الله ، وصغر ما عظم الله ، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب ، أو يحتد فيمن يحتد ، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن » .

إن القرآن الكريم أعظم نعمة لله على عباده ، ومن وفقه الله لحفظه وتدبره والعمل به ، والاهتداء بهديه ، فإن كل ما في الدنيا من متاع وزينة دون ما عنده ، ولا تُقارن بما أعطاه الله ، وفقه إليه .

وفي الحديث الشريف توجيه نبوي كريم لما ينبغي لحافظ القرآن أن يكون عليه من الخلق الرضى ، وسعة الصدر ، والحلم ، والوقار ، والرزاقية ، والقناعة ، فهو لا يخالط السفهاء ، ولا يشاركهم بذاءة اللسان وسوء المقال ، وضعف الأخلاق ، وهو أيضا ينبغي له ألا يستفزّه الغضب اقتداء برسول الله ﷺ ، فقد كان عليه السلام حليما وما انتقم لنفسه قط ، وما ضرب بيده أحدا ولا شيئا إلا أن يضرب في سبيل الله ، كما يتحلى قارئ القرآن بلين الجانب ، وسهولة الخلق ، والرفق في أمره كلها ، فلا يبالغ في خصومة ، ولا يحتد على أحد ، ولا يقابل السيئة وهفوات الإخوان بمثلا بل يعفو ويتجاوز ذاكرا دائما أنه قارئ كتاب الله ، وأنه متزين بفضائله ومتحل بأدابه ، وأن الوقار ينبغي أن يكون سمة دائمة لحامل كتاب الله .

فطوبى لمن انتفع بوصايا الحبيب المصطفى ﷺ ، طوبى لمن يقبل على كتاب الله يتلوه ويتدبره في خشوع ، ويجتهد في الحفظ والفهم والعمل به .

طوبى لمن إذا سمع كلام الله يتلى تأدب وخشع وانصت ، ليكون أهلا لرحمة الله عند ذلك قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)

ويقول الحبيب المصطفى ﷺ مبيناً فضل الاستماع والتلاوة : « مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ ، وَمَنْ تَلَاهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَبْعُ الْقِيَامَةَ » .
 ومن واجب المؤمن - الرجل والمرأة - أن يُعْطَى عَيْنِيهِ حَظَّهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنْ كَانَ حَافِظًا ، فَلِلْعَيْنَيْنِ عِبَادَةٌ ، وَعِبَادَتُهُمَا النَّظَرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُعْطُوا أَعْيُنَكُمْ حَظَّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَظُّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ ؟ قَالَ : « النَّظَرُ فِي الْمَصْحَفِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ ، وَالِاعْتِبَارُ عِنْدَ عَجَائِبِهِ » وَقَالَ عَقِبَةُ بْنُ عَامِرٍ : عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ : « عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ » .
 اللهم صل وسلم وبارك على نبينا الهادي الأمين ..

فضل قراءة القرآن والعمل به

عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرُجَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مَرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مَرٌّ - أَوْ خَبِيثٌ - وَرِيحُهَا مَرٌّ . »

أخرجه البخارى وغيره

المفردات :

- الأترجة : ثمرة حلوة الطعم طيبة الرائحة جميلة اللون .
- الريحانة : كل طيب الريح كالورد والياسمين والريحان .
- الحنظلة : ثمر نبات في الصحراء مر الطعم ولا ريح له .

في الحديث الشريف صور أربع صور متوقف الناس بالنسبة للقرآن :

- ففى الناس المؤمن الذى يقرأ القرآن ويتدبره ويعمل بما جاء فيه ، ويتحلّى بأدابه ويقف عند حدوده ، فذلك المؤمن الصادق ، وقد شبهه النبي ﷺ بالأترجة وهى ثمرة حلوة الطعم ، طيبة الرائحة ، حسنة اللون ، فقارئ القرآن العامل بأحكامه متزین الباطن والظاهر ، طهره القرآن وأدبه فانتفع الناس به ، وكان له تأثيره فيهم ، إذ يستريح الناس لقراءته حين يسمعون يتلو كتاب الله ، ويتأبون بالاستماع إليه ، ويتعلمون منه ، مثل الأترجة يستريح الناس بريحها .

- ومن الناس مَنْ يعملُ بالقرآن ، ويهتدى به وبما فهمه من أحكامه ، ولكنه لا يحفظه ، وبالتالي لا يقرؤه ، فهذا تأثر باطنه وهو في نفسه نقيُّ صالح ، وقلما يتجاوزه صلاحه إلى غيره ، لأن أحدا لا يسمع منه تلاوةً لكتاب الله تعالى بسبب عدم حفظه له ، وقد شبههُ الرسولُ الكريم ﷺ بالتمرّة في حلاوة طعمها - إشارة إلى صلاحه وطهارته باطنه لالتزامه بأداب القرآن وأحكامه - وفي عدم وجود رائحة لها - أى أن تأثيره في غيره قليل .

- وهناك صنف ثالث يقرأ القرآن ولكنه لا يعمل به ، ولا يقف عند حدود أوامره ونواهيه ، ولا يهتدى بهديه ، وهذا منافق ظاهره حسنٌ وباطنه خبيث ، وهذا المرائي شبههُ الرسولُ ﷺ بالريحانة فهي طيبة الرائحة ، ولكن طعمها مرٌّ ، أى طيبة الظاهر خبيثة الباطن .

- والصنف الرابع هو هذا الصنف من الناس الذى يُعرض عن كلام الله فهو لا يقرأ القرآن ، ولا يتدبره ولا يهتدى بهديه ، ولا يلتزم بأداء أوامره واجتناب نواهيه فهو لم ينفع نفسه ، ولم ينفع غيره وجاء تشبيههُ بالحنظلة في الحديث لبيان ذلك .

وفي الحديث الشريف السابق بيان لفضيلة قارئ القرآن وأن المقصود من التلاوة العملُ كما دل عليه زيادة : « ويعمل به » .

وقد وردت الآثار في بيان فضل تلاوة القرآن ، وتدبره ، وثواب أهله ، فعن أبى سعيد قال : قال نبيُّ الله ﷺ : « يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ وارق واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيءٍ معه » .

وحملَ القرآن العاملون به هم أهلُ الله وخاصته لهم مكانتهم ومنزلتهم يوم الدين ، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن لله أهلين من الناس ، قيل : مَنْ هم يا رسولَ الله ؟ قال : « أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصته » .

وكان أبو عبد الرحمن السلمى إذا ختم عليه الخاتمُ القرآنُ أجلسه بين يديه ووضع يده

على رأسه ، وقال له : يا هذا اتقِ الله فما أعرفُ أحدا خيرا منك إن عَمِلْتَ بالذي عَلِمْتَ ! .

وفي بيان فضل تلاوة القرآن وحفظه والعمل به يروى الحسنُ رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

« مَنْ أَخَذَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ، وَعَمِلَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ أَمْرَ ثُلُثِ النَّبِوَّةِ ، وَمَنْ أَخَذَ نِصْفَ الْقُرْآنِ ، وَعَمِلَ بِهِ ، فَقَدْ أَخَذَ أَمْرَ نِصْفِ النَّبِوَّةِ ، وَمَنْ أَخَذَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فَقَدْ أَخَذَ النَّبِوَّةَ كُلَّهَا » .

وفي هذا الحديث ترغيبٌ في تلاوة القرآن وحفظه والتأدب بأدابه وفضل العمل به .
وصاحبُ القرآن يحملُ أعظمَ ثروة ، لأنها الثروةُ الباقيةُ الخالدةُ التي تنفعُ صاحبها في الدنيا وفي الآخرة ، فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« الْقُرْآنُ غِنَى لَا فِقْرَ بَعْدَهُ ، وَلَا غِنَى دُونَهُ » .

ومن حديث شريف :

« مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّمَا اسْتَدْرَجَتْ النَّبِوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ ، فَقَدْ عَظَّمَ مَا صَغَّرَ اللَّهُ ، وَصَغَّرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ ... » .

فما أعظمَ فضلَ الله على قارئ القرآن ومتدبره العامل بما فيه ، المهتدى بهديه .

منزلة قارئ القرآن الكريم وحامله

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :
 « الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن
 ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاقٌ له أجران » .
 رواه البخاري

المفردات :

ماهر به : حافظ له .

السفرة : الملائكة .

يتتعتع : أى يتوقف فيه لضعف حفظه ، والتتعتع . التردد في الكلام عياً وصعوبة
 وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ، ومن حيث المشقة ، ودرجات الماهر فوق ذلك كله ،
 لأنه قد كان القرآن متعتا عليه ، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شُبَّه بالملائكة - والله أعلم - .

والحديث يُرشدنا إلى فضل قراءة القرآن وحفظه وأن ذلك من أفضل الأعمال وأعظم
 القربات ، فالحديث يبين لنا مكانة حافظ القرآن وقارئه خصوصا من يجتهد في الحفظ
 والتجويد ، ويحرص على سلامة النطق حتى يصير مَاهراً بالقراءة ، مجيداً للتلاوة ، مع
 إخلاصه وحبه للقرآن ، وعمله به ، وتحلّيه بفضائله فإن هذا منزلته مع السفرة من الملائكة
 وهم يلزمون صحبته وهو يتلو كتاب الله ، وما أكرمها من صحبة ! .

والحديث يدعونا إلى أن ننير حياتنا بصحبة القرآن ، لا تغفل عن قراءته وتدبره ، حتى
 ولو كان الواحد منا ضعيف القراءة ، ضعيف الحفظ ، فعليه أن يثابر ، ويحرص على

الاستمرار في القراءة ويرغب دائما في التلاوة ، وقد بين لنا النبي ﷺ أن من هذه حالته ويدام على قراءة القرآن ، ويرغب في إجادة التلاوة والحفظ فإن له أجرين من الله تعالى أجر القراءة وأجر احتمال المشقة والمثابرة على التلاوة .

وإنه لما يساعد المرء على إجادة التلاوة ، وسرعة الحفظ ، أن يبدأ في تعلم القرآن وحفظه في صباه ، وينبغي للأسرة المسلمة أن تلتفت إلى ذلك فتبادر إلى تعليم أولادها القرآن ليشبوا على توقيره واحترامه ، ولكي يؤتى التعليم ثمارا أسرع وأرسخ « ذلك أن الصبي إذا تعلم بلغ وهو يعرف ما يُصلى به ، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرا ، وأشدُّ علوقا بخاطره ، وأرسخ وأثبت كما هو المعهود ، من حال الناس » .

بهذا علل ابن كثير رأيه في الحث على تعليم القرآن في الصبا، وإن كان ينبغي لمعلمه أن يراعى سنه وقدراته وجودة حفظه وهمته حتى لا يُثقل عليه في أول الأمر ، وقد استحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يُلقن خمس آيات خمس آيات ، ومعنى هذا أن يكون تعليم الصبي بالتدرج حتى يكون دائما على ثقة بنفسه .

إن أعظم وأنفع ما تُقدمه الأسرة لأولادها أن تنشئهم على طاعة الله ، وأن تحبب القرآن إلى قلوبهم ، وترغبهم في تلاوته وحفظه وأن تسعى إلى ذلك ، وتحرص عليه .

والرسول ﷺ إذا كان يحببنا ويرغبنا في تلاوة القرآن وحفظه فإنه أيضا يدعونا للعمل به ، والاهتداء بهديه ، والتزام ما أمر به ، والبعد عما نهى عنه ، وقد روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قرأ القرآن فاستظهره ، فأحلَّ حلاله ، وحرَّم حرامه ، أدخله الله به الجنة وسفَعَهُ في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار » (١)

إن القرآن الكريم جاء بخير البشر وسعادتهم ، وهو نور القلوب المؤمنة المخلصة ،

وحياة النفوس المطمئنة ، وهو الهادى إلى سبل الفوز والنجاة ، ولهذا كانت تلاوته وحبه والعملُ به من أعظم العباداتِ كما قال الحبيب المصطفى ﷺ .
« أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمَّتِي تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ » .

ولنتدبر قول الحق تبارك وتعالى :

« إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » (١) .

فقد ضرب الله للقلوب القاسية الغافلة اللاهية مثلا بالأرض الميتة ، هذه الأرض إذا نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت ونفعت كذلك القلوب إذا أقبلت على كتاب ربها بالحب والتلاوة والتدبر لانت وخشعت ورقت ، ودفعت صاحبها إلى الجادة فينفع نفسه ، وينفع غيره ، ولكى يكون المعنى شديد الوضوح فإن علينا أن نسمع ونتدبر قول الله في الآية السابقة عليها :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

نعم إن القلوب القاسية علاجها قراءة القرآن وتدبره وذكر الله .

حقا : إن القرآن الكريم شفاء لما فى الصدور من العمى والجهل والغلظة والجفوة وجميع الأمراض التى تحول بين الإنسان وبين ترقّيه فى مدارج الكمال الإنسانى .

(١) سورة الحديد : ١٧ .

(٢) سورة الحديد : ١٦ .

منثورات من الدرر المأثورات

- قال ابن مالك في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (١)

قال : هي القرآن

- قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « من أراد عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَلْيُتَوَرَّ (٢) الْقُرْآنَ » .

أى فليقرأ القرآن متديرا ، وليبحث عن حِكْمِهِ وَمَعَانِيهِ وَعَبْرَهُ وَعِظَاتِهِ ، ويفهم شرائعه وأحكامه .

- قيل لجعفر بن محمد الصادق :

لِمَ صَارَ الشَّعْرُ وَالخُطْبُ يُمَلُّ مَا أُعِيدَ مِنْهَا ، وَالْقُرْآنُ لَا يُمَلُّ ؟ ، فقال : لأن القرآن حُجَّةٌ عَلَى أَهْلِ الدَّهْرِ الثَّانِي ، كَمَا هُوَ حُجَّةٌ عَلَى أَهْلِ الدَّهْرِ الْأَوَّلِ ، فَكُلُّ طَائِفَةٍ تَتَلَقَاهُ غَضًّا جَدِيدًا ، وَلأن كل امرئٍ في نفسه متى أعاده ، وَفَكَرَّ فِيهِ ، تَلَقَّى مِنْهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ عِلْمًا غَضًّا ، وَلَيْسَ هَذَا كُلُّهُ فِي الشَّعْرِ وَالخُطْبِ » .

نعم .. إن القرآن لا يَمَلُّ الْأَثْقِيلَ ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا تَبْلَى جِدَّتُهُ ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقُضُ عَجَائِبِهِ ، وَلَا تَفْنَى كُنُوزُهُ وَجَوَاهِرُهُ .

من بحث عن الهدى وجدته في كتاب الله ، ومن أراد السكينة والطمانينة فليعتصم

بكتاب الله ، وَمَنْ بَحِثَ عَنْ أَشْرَفِ الْعِلْمِ وَأَطْهَرِهَا وَأَزْكَاهَا وَجَدَهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَمَنْ

(١) سورة البقرة : ٢٥٦

(٢) توير القرآن : قراءته والبحث عن معانيه وعلمه ومفاتيحه العلماء به .

التمس العبرة لنفسه يردعها عن الغي ، ولغيره يبين له عواقب الضلال والانحراف عن الصراط السوي فإن مبتغاه في آيات الكتاب الحكيم ، وكلما أعاد المرء تلاوة الآية أو الآيات وجد لذلك حلاوة فوق حلاوة ، وريدا وسلاما ، وروحا وريحانا .. فاللهم زد القرآن حبا في قلوبنا ، وارزقنا الفهم لحكمه ، والفقه لأحكامه ، والعمل بما نعلم .

- وقيل لحميد بن سعيد : ما هذا التردد للقصص في القرآن ؟

فقال : ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ في الاعتبار .

- حدث مالك بن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ قرأ مائة آية كُتِبَ من

القانتين ، وَمَنْ قرأ مائتي آية لم يُكْتَبْ مِنَ الغافلين ، وَمَنْ قرأ ثلاثمائة آية لم يحاجه القرآن » .

- عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

« القرآن شافع مشفق ، وما حل مُصَدِّق ، مَنْ جعله أمامه قاده إلى الجنة ، وَمَنْ جعله

خلف ظهره ساقه إلى النار » .

قال ابن الأثير في معنى « ما حل مُصَدِّق » أى خصم مجادل مُصَدِّق ، وقيل ساع

مُصَدِّق ، من قولهم مُجِلَّ بفلان إذا سعى به إلى السلطان والمعنى : أن من أتبع القرآن ،

وعمل بما فيه فإنه شافع له ، مقبول الشفاعة ، ومُصَدِّق عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك

العمل به .

- قال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ (١) . قال

« الإسلام والقرآن » .

- قال قوم من الأنصار للنبي ﷺ :

ألم تر يا رسول الله ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة يزهر فيها (٢) وحوها أمثال

المصاييح ؟ .

(٢) يزهر فيها : أى فيها نور وإشراق .

(١) سورة يونس : ٥٨ .

فقال لهم: « فلعله قرأ سورة البقرة » ، فسئِلَ ثابت بن قيس فقال : نعم قرأت سورة البقرة .

- كان أسيد بن حضير بن سهاك بن الأوس الأنصاري من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، وقد ثبت من حديثٍ صحيح أن الملائكة تنزلت في الظلة لصوته بقراءة سورة البقرة .

- وذكر عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ الملقب بأبي عمر الداني عن علي بن المغيرة الأثم قال :

كنت أتكلم في الكسائي ، وأقعُ فيه فرأيتُه في النوم وعليه ثيابُ بياض ، ووجهه كالقمر ، فقلت : يا أبا الحسن ، ما فعل الله بك ؟ فقال : عَفَر لي بالقرآن .

- ومن كلام عبد الله بن عمرو رضى الله عنه :

« وعليكم بالقرآن فتعلموه ، وعلموه أبناءكم فإنكم عنه تُسألون ، وبه تُجَزَّون ، وكفى به واعظا لمن عقل » .

- وقال رجل لأبي الدرداء : إن إخوانا لك من أهل الكوفة يقرؤونك السلام ، ويأمرونك أن توصيهم فقال : أقرئهم السلام ، ومُرهم ، فليعطوا القرآن بخزائهم ^(١) فإنه يحملهم على القصد والسهولة ، ويجنبهم الجور والحزونة ^(٢)

- يُروى أن أهل اليمن لما قَدِموا أيامَ أبي بكر الصديق سمعوا القرآن ، فجعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : هكذا كنا ثم قست القلوب .

- روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ مرة :

« إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ . مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ » ^(٣) فَإِنَّ أَنتَ ، عِيْدَ مِنْهَا عَشْرِينَ يَوْمًا (أى مرض يُزار عشرين يوما) .

(١) خزائم : جمع خزيمة ، يريد الانقياد لحكم القرآن وإلقاء الأمانة إليه والتسليم لحكمه وأمره ونهيه .

(٢) الحزونة : ضد السهولة . (٣) سورة الطور : ٧ - ٨

- قال رجل لعبد الله بن مسعود : أوصني ، فقال : إذا سمعت الله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا » فأرעהها سمعك ، فإنه خيرٌ يأمر به أو شرٌ ينهى عنه .
- مرت امرأةٌ على عيسى بن مريم عليه السلام ، فقالت : « طوبى لبطنٍ حملك ، ولثديين رضعتَ منهما » .

فقال عيسى : « طوبى لمن قرأ كتابَ الله ، وعملَ بما فيه » .

- عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أيها الناسُ إنما أنا بشرٌ يُوشِكُ أن يأتيَنِي رسولُ ربِّي فأجيبهُ ، وإنِّي تاركٌ فيكم الثقلين : أولهما كتابُ الله فيه الهدى والنور ، فتمسكوا بكتابِ الله ، وخذوا به - فحث عليه ورغب فيه - ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي - ثلاث مرات - » * .

- سَمِعَ أعرابيُّ قارئاً يقرأ : « فاقطعوا أيديها جزاءً بما كَسَبَا نَكَالاً منَ اللهِ (١) والله غفورٌ رحيمٌ » فقال : ما هذا ؟ فقيل له : قرآنٌ ، فقال ما هذا بقرآن ؟ فتنبّه القارئُ فقال « والله عزيزٌ حكيمٌ » ، فقال الأعرابي (عَزَّ فَحَكَمَ فَفَقَطَعَ) .

- كان أبو عبدالرحمن السلمى إذا ختم عليه الطالب القرآن ، أجلسه بين يديه ، ووضع يده على رأسه وقال له : يا هذا اتقِ الله ، فما أعرف أحداً خيراً منك ، إن عملت بما عَلِمْتَ .

- روى الدارمى عن وهب الذمارى قال : من آتاه الله القرآن ، فقام به آناء الليل ، وآناء النهار ، وعمل بما فيه ، ومات على الطاعة ، بعثه الله يوم القيامة مع السفارة والأحكام .

قال سعد : السفارة : الملائكة ، والأحكام : الأنبياء .

- عن إبراهيم التيمي : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه سئل عن قوله تعالى ﴿ وفاكهةً وأباً ﴾ (٢) فقال : أى سماء تُظَلَّنِي ؟ وأى أرض تُقَلَّنِي ؟ إذا أنا قلتُ في كتاب الله مالا أعلم .

* الوصاية بأهل بيته أن يعرفوا لهم فضلهم ، ولا يخرجوهم في الإطراء عن وضعهم ، ولا يكذبوا عليهم .

وذلك أن الرجل من السلف الصالح كان يتحرّج عن تفسير مالا علم له به ، فإذا

نقول فيمن يجترىء على تفسير كتاب الله بغير علم ولا دراية ؟ ! .

- عن علي رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ قرأ القرآنَ ، وتلاه ، وحفظه ، أدخله الله الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلُّ قد وجبت له النار » ...

دعاء :

اللهم ارزقنا تلاوة كتابك على الوجه الذي يُرضيك عنا ، واهدنا به سبيل السلام .

وأخرجنا به من الظلمات إلى النور .

واجعله حجةً لنا لا علينا يا رب العالمين .

اللهم ارفع لنا به الدرجات ، وأنقذنا به من الدركات ، وكفرّ عنا به السيئات .

واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

استذكار القرآن وتعاهدته

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :
 « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِيلِ الْمَعْقَلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا
 وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ » .
 رواه البخارى .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ هُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ
 مِنَ الْإِيلِ فِي عَقْلِهَا » .
 رواه البخارى

وفى بعض الروايات (استذكروا القرآن فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من
 النعم - من عقولها) .

المفردات

(إنما مثل صاحب القرآن) أى الذى أَلِفَ تلاوته .
 الْمُعْقَلَةُ : بضم الميم وسكون العين المهملة ، أو بتشديد القاف مع فتح العين : أى
 المشدودة بالعقال وهو الحبل الذى يُشَدُّ فى رقبة البعير ورجله لئلا يهرب
 (إن عاهد عليها) : أى حافظ عليها وراقبها .
 (وتعاهدوا) من تعاهد الشئ واعتده وتعهده أى تفقده ، وأحدث العهد به ،
 والتعاهد والتعهد : المراجعة والمعاودة - قاله الهروى .

تفلتاً مصدر تفلت يُقال تفلت منى الشيء وأفلتني الشيء انفلت أى انفصل وذهب .
تفصياً : التفصّي التخلّص ، يقال : تفصّى فلان من البلية إذا تخلص منها ، ومنه
تفصّى النوى من الثمرة إذا تخلص منها أى أن القرآن أشدُّ تفلتاً من الصدور من النعم إذا
أرسلت من غير عقل .

النعم : الإبل

ومضمون هذه الأحاديث التّرجيبُ في كثرة تلاوة القرآن ، واستذكاريه وتعاهده لئلا
يُعرضه حافظه للنسيان ، فإن ذلك خطأ كبيرٌ نسأل الله العاقبة منه ، ونسأله سبحانه
وتعالى بفضله ورحمته أن يذكرنا مانسيناه منه ، وأن ييسرَ لنا حفظه وفهمه وتدبره والاهتداء
بهديه إنه سبحانه لطيفٌ بعباده رحيمٌ بهم .

وفي الحديث الأول شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يُخشى منه أن
يشرد ، فما دام التعاهد موجوداً فالحفظ موجود ، كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال -
الحبل - فهو محفوظ ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشدُّ الحيوان الأهلى نفورا .

القرآن الكريم هو كتاب الهداية الربانية للناس كافة إلى أن تقوم الساعة ، أنزله ربُّ
العالمين على قلب خاتم النبيين لينقذ به من الضلالة ، ويُخرج الناس من ظلمات الجهل
والكفر إلى نور العلم والإيمان ، وليكون دستور الحياة الإنسانية الفاضلة النظيفة ... وليبين
للناس حقوق الرب على عباده ، ليعبدوه حقّ عبادته ، وليشكروه ، ليفوزوا بخيرى الدنيا
والآخرة .

ومن حقّ القرآن علينا أن نتدبره ونُقبل على تلاوته وحفظه ومن حفظه أو حفظ منه شيئا
ينبغي له أن يستذكره ، وأن يداوم على تلاوته في الصلوات وفي غير الصلوات ، حتى
لا يغيب عنه ما حفظه ، ولا يذهب من صدره ما وعاه منه .

والحبيب المصطفى ﷺ يحثنا على تعاهد القرآن على الوجه الأتم بحفظه ومدارسته ،
وتفهم معانيه ، والاجتهاد في معرفة مافيه من أحكام وأسرار وعبر وعظات .

فقولهُ ﷺ (تعاهدوا القرآن) معناه واطبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم مذكرته .

ويرشدنا الرسول ﷺ إلى أن حامل القرآن إذا واطب على تلاوته أنس ، وسكن في قلبه ، كما أن صاحب الإبل إذا عقلها - ربطها - أمن من نفورها وشرادها ، وأما إذا أهمل صاحب القرآن في مدارسته تفلت منه ولم يبق له في قلبه أثر كما أن صاحب الإبل إذا فرط في عقلها ، ولم يحكم ربطها تفصت وشردت ، ولذلك قوى رسول الله ﷺ الكلام وثبته في الصدور بالقسم فقال : (فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تفلتاً من صدور الرجال من الإبل في عقلها) .

فكما أن البعير إذا ترك من غير عقل شرد وضل ، كذلك حافظ القرآن إن لم يتعاهده تفلت بل هو أشد في ذلك من الإبل ، ويشهد لذلك قول الحق تبارك وتعالى ﴿ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (١)

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ (٢)

فمن أقبل بالمحافظة عليه يسر له ، ومن أعرض عنه تفلت منه .

إن من حق القرآن على المؤمنين أن ينال أقصى عنايتهم وتوحيدهم كما نبه الشارع إلى ذلك ، ولا غرابة في ذلك ، فالقرآن نور لحافظه يهديه إلى البر ، ويحول بينه وبين نفسه الجاحمة ، ولذلك اعتنى السلف الصالح بحفظه وتجويده ، وفهم معانيه ، ودونوا علوم اللسان ، والسنة ، لتكون أداة للوقوف على شرائعه ، وآلة لمن يريد الاجتهاد والاستنباط من أئمة الدين ، والعلماء المتفقيين .

قال رسول الله ﷺ : (إن الذي يتعاهد هذا القرآن ويشتد عليه له أجران ، والذي

يقرؤه وهو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم ..

نسألك اللهم أن تيسر لنا حفظه ، وأن توفقنا لتعاهده واستذكاره ، وأن تجعل القرآن ربيعاً لقلوبنا ، ونوراً لأبصارنا ولضائرنا ، واهدنا به الصراط المستقيم ...

مجال الخير

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
(لا حسدَ إلا في اثنتين ، رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ
فسمعه جارُ له فقال : ليتنى أُوتيتُ مثلَ ما أُوتى فلانُ فعملتُ مثلَ ما يعمل .
ورجل آتاهُ اللهُ مالاً فهو يهلكه في الحقِّ ، فقال رجل : ليتنى أُوتيتُ مثلَ ما أُوتى فلانُ
فعملتُ مثلَ ما يعمل)
رواه البخارى

المفردات :

لا حسد : أى لا غبطة فالحسد تمنى زوال ما عند الغير من النعم وهذا ذمه الشارع
الحكيم - أما الغبطة فهى تمنى مثل ما للغير من نعمة من غير أن تزول عنه - أى مع تمنى
دوامها لصاحبها - والمراد فى الحديث هو الغبطة وهى مرغوب فيها ، وحببها الشارع إلى
النفوس

يهلكه فى الحق : أى ينفقه فى الوجوه المشروعة ، ويبذل منه فى وجوه الخير ونصرة الدين .

فى الحديث الشريف بيان مجالين للخير يحث الرسول ﷺ المسلمين على التنافس
للحصول على قصب السبق فيها .

- المجال الأول : هو الترغيب فى حفظ القرآن والمداومة على تلاوته فى الصلوات وفى غير
الصلوات فى أثناء الليل وفى أثناء النهار تقرباً إلى الله ، وتحصيلاً للثواب .

المجال الثانى : هو إنفاق المال فى وجوهه المشروعة وبذل قسط منه للنفع العام وعدم

البخل به على المساكين ، والبائسين وذوى الحاجة مع الرغبة فيما عند الله ، ومجالات التنافس فى الخيرات كثيرة ولكن خيرها هو ما حرك الرسول ﷺ الهمم لتحصيل فضيلته .

- وخيراً ما يغبط المرء عليه أخاه ، ويسعى إلى التسابق معه فى مجاله ، أن يكون صاحبه من أهل القرآن الحافظين له الذين يتلونه حق تلاوته فى أثناء الليل وفى أثناء النهار ، فتلك نعمة عظيمة ، وفضل من الله جدير أن يتمناه كل إنسان لنفسه ، ويقول : (ليتنى أوتيتُ مثل ما أوتى فلان فعملتُ مثل ما يعمل) .

ومن خير ما يغبط المرء عليه صاحبه - أيضاً - أن يكون ذلك الصاحب من أصحاب الأموال ومن ذوى النفوس الطيبة ، ومن أهل المروءات ، الراغبين فى الخير فهو ينفق من ماله فى ميادين البر ، ويبدل منه للنفع العام ، ويُغيث الملهوف ، ويُعين الأرامل ، ويعرف حق اليتيم والمسكين ، وينصر به الحق ... فمثلُ هذا العمل خليقُ بأن يتمناه كلُّ إنسان لنفسه ، وأن يكون له من المال ما يستطيع أن ينفق منه فى وجوه البر والخير ونصرة الدين وإعلاء كلمته .

والمسلم بطبيعة الحال لا يقف عند حدود التمنى ولكنه مطالب بالعمل ، والسعى والجد ، وعلى ضوء الحديث الشريف السابق :

- يكون المسلم مطالباً بقراءة القرآن وعدم الغفلة عن ذلك .

- كما يطالب بالإنفاق فى وجوه الخير إذا كان ذا مال أو يسعى للكسب من وجوهه المشروعة حتى يقدر على الإنفاق فى الخير بقدر ما يستطيع .

فعلى العبد أن يحسن نيته ، وقصده ، وأن يجتهد ويعمل ويخلص ، والله عز وجل يعينه وييسر له أموره ، ويوفقه برحمته وفضله .



عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « يُقَالُ
لصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اِقْرَأْ وَاِزِقْ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ
نَقَرُوهَا »

أخرجه البخارى والترمذى

عن حذيفة رضى الله عنه قال : « يامعشر القراء استقيموا فقد سبقتكم سبقا بعيدا ،
وإن أخذتم يمينا وشيالا لقد ضللتكم ضلالا بعيدا »

أخرجه البخارى



القسم الرابع

-
- وجوب العناية بتعليم القرآن الكريم
 - مايلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته
 - ماينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه
 - في آداب متفرقة
 - إحصاء
-

وجوب العناية بتعليم القرآن الكريم

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (خيرُكم من تعلم القرآن وعلمه)

رواه البخاري

وفي رواية : (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)

رواه الترمذي وغيره

الرسول ﷺ يلفت المؤمنين إلى مكانة القرآن الكريم ، ومنزليته ، وينبه إلى ضرورة العناية به ، العناية بتلاوته وحفظه وتعليمه وتنشئة أبناء المسلمين على توقيره وحبّه والتعلق به وتدبره وحفظه .

فالقرآن الكريم هو كلامُ ربِّ العالمين ، هو النور والهداية وفيه الرشد والسلامة والشفاء من الجهل والهوى وأدران الانحراف عن الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا انحراف ، فيه العظات والعبر ، فيه الحكمة والسداد والحق الثابت ، فيه مايقوم الفكر ، ويجلو صدأ العقل ، وينير البصيرة ، ويطمئن القلب ، ويهذب الضمير ويصقله .

يقول الحق تبارك وتعالى من سورة الإسراء (١) :

﴿ وَتُنزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾
فخيرُ الناس اتجاها وسعيا ، وأفضلهم منزلة هم أولئك الذين يتدبرون آيات الله ، ويحفظون كتاب ربهم ، ويهتدون بهديه ، ويعملون به ، ويقفون عند حدوده ويلتزمون

أنفسهم بأدابه وفضائله ، ثم يعلمون المؤمنين كما تعلموا ، ويُعَوِّدُونَ النَّاسَ عَلَى احْتِرَامِ الْقُرْآنِ وَمَجَالِسِهِ ، وَعَلَى تَوْقِيرِهِ وَالْحَشْوَعِ وَالْإِنْصَاتِ عِنْدَ سَمَاعِهِ وَالتَّدْبِيرِ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ .

يقول ابن كثير القرشي الدمشقي تعليقا على الحديث :

« وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسول ، وهم الكمل في أنفسهم ، المكملين لغيرهم وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدى ، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ، ولا يتركون أحدا ممن أمكنهم أن ينتفع كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِنَاهُمْ عِذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾^(١) وكما قال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾^(٢) في أصح قول المفسرين في هذا هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع تأييمهم وبُعدهم عنه أيضا فجمعوا - أي الكفار - بين التكذيب والصد كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾^(٣) فهذا شأن شرار الكفار ، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل في نفسه ، وأن يسعى في تكميل غيره كما قال ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

وكما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٤) .

فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى : من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يتبع به وجه الله ، وعمل هو في نفسه صالحا ، وقال قولاً صالحاً أيضا فلا أحد أحسن حالاً من هذا » .

إن ابن كثير يلفتنا إلى الصورتين المتقابلتين :

- صورة الجاحد الكافر بكتاب الله الذي يسعى في الأرض فسادا يصد الناس عن اتباعه ، ويعمل على حرمانهم من الخير والهدى والنور .

(١) سورة النحل : ٨٨ . (٢) سورة الأنعام : ٢٦ .

(٣) سورة الأنعام : ١٥٧ . (٤) سورة فصلته : ٢٣ .

- وصورة المؤمن الصالح الذي يحب الله ، ويحب رسوله ، ويحب كتاب الله ، يتدبره ويوقره ، ويحفظه ، ويتعلم حكمه وأحكامه ، ثم يعمل على نشر الهدى والخير والنور في الناس فهو يعلم غيره كتاب الله ، ويبين له حلاله وحرامه ، وحكمه وأحكامه ومواظبه وعيبه ، ويشجع غيره على تدبره وحفظه .

إنَّ الكافرَ الصادَّ عن سبيلِ الله مفسدٌ في الأرضِ وعونٌ للشيطان .
أما المؤمن القارئ للقرآن الذي يُعلم غيره كتابَ الله مع الاهتداءً بهديه فهو المصلحُ في الأرضِ من جنِّدِ الرحمنِ .
وشتانَ بينَ الفريقينِ ! !

ولهذا دعا رسولُ الله ﷺ إلى إكرامِ حافظِ القرآنِ المدام على تدبره وقراءته المراعى حرمةً ، فقال :

« من تعظيم جلالِ الله إكرامُ ثلاثةٍ : الإمامِ المقسطِ ، وذى الشَّيْبَةِ المسلمِ ، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالى فيه ولا الجافى عنه » .

إن الرسولَ الحبيبَ ﷺ يحثُ المؤمنين على توقيرِ القرآنِ والعناية بتدبره وتلاوته وحفظه وتعلمِ حكمه وأحكامه والتزُّينَ بأدابه . . .

إن بيوتَ المسلمين يجبُ أن تُعنى بالقرآن ، وأن تحبَّ أبناءها فيه ، وترغبهم في حفظه ، وتنشئهم على توقيره وحسنِ الإنصاتِ إليه حين يثلى أمامهم ، والبيتُ الذى يُقرأ فيه القرآنُ تهبط عليه رحمةُ الله ، ويكثر خيره ، أما البيتُ الذى لا يُقرأ فيه كتابُ الله فخيرُه قليلٌ لأنه محرمٌ من أعظمِ البركاتِ .

عن أنسِ رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« إنَّ البيتَ الذى يُقرأ فيه القرآنُ يكثرُ خيرُه . . . والبيتُ الذى لا يُقرأ فيه القرآنُ يقلُّ خيرُه » .

وإنَّ مدارسَ المسلمين ومعاهدَ العلمِ فى بلادهم ، وجامعاتهم ينبغى أن تزدانَ بتلاوة

القرآن وتعليم حِكْمِهِ وأحكامِهِ ، وألا يُحَرِّمَ أبناءَ المسلمين في أيِّ مرحلةٍ من مراحلِ التعليم من تعلُّمِ القرآنِ الكريمِ ، وما يُعِينُ على فَهْمِهِ من كتبِ الحديثِ والتفسيرِ واللغةِ •
 إن أفضلَ الأجيالِ في تاريخِ أمةِ الإسلامِ الذين حملوا أمانةَ الدعوةِ إلى الله ، ونشرِ الفضائلِ ، وحمايةِ الناسِ ، وتوطيدِ دعائمِ العدلِ والسلامِ في الأرضِ ، وتوفيرِ الرخاءِ والطمأنينةِ للناسِ هم أولئك الذين تربَّوا على مائدةِ القرآنِ الكريمِ ، وكان القرآنُ نورَ بصائرهم وعقولهم وقلوبهم ودستورَ الفرزِ والأسرةِ والأمةِ ••

قال رسولُ الله ﷺ فيما يرويه ابنُ عباسٍ :

« من اتَّبَعَ كتابَ الله هداه الله من الضلالةِ ، ووقاه سوءَ الحسابِ يومَ القيامةِ ، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١) •

ما يلزم قارئ القرآن الكريم وحامله من تعظيم القرآن وحرمة

- من حُرمة القرآن ألا يمسه المرء إلا طاهراً . (١)
- من حُرمة القرآن أن يقرأه وهو على طهارة .
- من حُرمة القرآن أن يستاك ويتخلل فيطيب فاه إذ هو طريقه .
- ومن حرمة أن يكون حسن الهدام .
- ومن حرمة أن يستقبل القبلة لقراءته .
- ومن حرمة أن يتمضمض كلما تنحَّع (٢) .
- ومن حرمة إذا تشاءب أن يُمسك عن القراءة تعظيماً حتى يذهب التشاؤب
- ومن حرمة أن يستعيد بالله عند ابتدائه القراءة من الشيطان الرجيم ، ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إن كان ابتداء قراءته من أول السورة أو من حيث بلغ .
- ومن حرمة ألا يقطع القراءة بكلام الأدميين لغير ضرورة .
- ومن حرمة أن يقرأه على تودة وترسيل وترتيل .
- ومن حرمة أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به .
- ومن حرمة أن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله ، وأن يقف على آية الوعيد - التهديد - فيستجير بالله منه .

(١) الترمذي الحكيم

(٢) تنحع فلان : رمى نخاعته ، والنخاعة : ما يخرج من الإنسان من حلقة من البلغم .

ومن حرمة أن يودى لكل حرفٍ حقه من الأداء حتى يُبرز الكلام باللفظ تماماً فإن له بكل حرف عشرَ حسنات .

ومن حرمة القرآن ألا يتركه منشوراً ، وألا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً علياً لسائر الكتب علماً كان أو غيره ، وألا يضع القرآن بالأرض .

ومن حرمة القرآن أن يمحوه من اللوح بالماء الطاهر ولا يستخدم البصاق في ذلك ، وأن يضع الغسالة في مكان طاهر ..

ومن حرمة أن يُعطى عينيه حظها منه .

قال رسول الله ﷺ : « أعطوا أعينكم حظها من العبادة » قالوا : يا رسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال : « النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه » .
وروي مكحول عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضلُ عبادة أمتي قراءة القرآن نظراً » .

ومن حرمة ألا يقرأ بالحن الغناء كلحون أهل الفسق ولا بترجيع النصارى ولا نوح الرهبانية فإن ذلك كله زيف .

ومن حرمة ألا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه حتى يبغض إليه ما يسمع ، ويكون كهينة المغالبة .

ومن حرمة ألا يُقرأ في الأسواق ولا في مواطن اللغو واللغو ويجمع السفهاء ألا ترى أن الله تعالى ذكر عبادة الرحمن ، وأثنى عليهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً ، هذا لمروه بنفسه فكيف إذا مر بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهرانبي أهل اللغو ويجمع السفهاء .
ومن حرمة ألا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه ، ولا يرمى به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله .

ومن حرمة ألا يصغر المصحف ، روى الأعمش عن إبراهيم عن علي رضي الله عنه قال : « لا يُصغَرُ المصحفُ » .

قلت : وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً في يد رجل

فقال : مَنْ كَتَبَهُ ؟ قال : أنا ، فضربه بالدرّة وقال : عَظَّمُوا الْقُرْآنَ .
وروى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يقال : مُسَيِّجِدٌ أَوْ مُصَيِّحِفٌ « أى نهى أن
ينطق اللفظ بصيغة التصغير » وهذا تأكيد لحرمته كتاب الله وبيوته .
ومن حرّمته ألا يُخلَطَ فيه ما ليس منه .
ومن حرّمته ألا يُحلى بالذهب ولا يُكتَبَ بالذهب فتخلط به زينة الدنيا .
وروى مغيرة عن إبراهيم : أنه كان يكره أن يُحلى المصحف أو يكتب بالذهب أو
يعلم عند رؤوس الآي أو يصغر .
وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا زخرفتم مساجدكم ، وحلّيتم
مصاحفكم فالذِّبَارُ عليكم » .
وقال ابن عباس ورأى مصحفا قد زُينَ بفضّة : « تُفرون به السارق وزينته في
جوفه » .
ومن حرّمته ألا يُكتَبَ على الأرض ولا على الحائط كما يفعل ببعض المساجد المحدثّة .
عن محمد بن الزبير قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يحدث قال : مرّ رسولُ الله
ﷺ وسلم بكتاب في أرضٍ فقال لشاب من هذيل « ما هذا ؟ » قال : من كتاب الله
كتبه يهودى .
فقال : « لعن الله مَنْ فعلَ هذا ، لا تَضَعُوا كِتَابَ اللَّهِ إِلَّا مَوْضِعَهُ » .
وضرب عمرُ بنُ عبد العزيز ابناً له رآه يكتبُ القرآنَ على حائط .
ومن حرّمته أن يفتتحه كلّما ختمه حتى لا يكون كهنية المهجور ، ولذلك كان رسول الله
ﷺ إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات ، لئلا يكون في هيئة المهجور .
ويُستحب للمرء إذا ختم القرآن أن يجمع أهله ويدعو ، وكان أنسُ رضي الله عنه يفعل
ذلك وكذلك جمعُ من السلف كان يدعو إخوانه ومحبيه لأن الرحمة تنزلُ عند ختم القرآن .
عن إبراهيم عن التيمي قال : من ختم القرآن أول النهار صلّت عليه الملائكةُ حتى
يمسى ، ومن ختم أول الليل صلّت عليه الملائكةُ حتى يُصبح ، قال : فكانوا يستحبون أن
يختموا أول الليل وأول النهار .

ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يفرط عنه

روى الترمذى عن أبى الدرداء قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنزل الله فى بعض الكتب أو أوحى إلى بعض الأنبياء ، قلُ للذين يتفقّهون فى الدين لغير الدين ، ويتعلّمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مُسوكاً^(١) الكيأش وقلوبهم كقلوب الذئب ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أَمْرٌ من الصبر : إِيَّايَ يُخَادِعُونَ وَبى يَسْتَهْزِئُونَ لِأَتِيحَنَّهُمْ فَتَنَةً تَذَرُ الحَلِيمَ فِيهِمْ حيرانَ » .

- فيجب على حامل القرآن وطالب العلم أن يتقى الله فى نفسه ، ويُخلص العمل لله ، فإن كان تقدّم له شيء مما يكره فليبادر إلى التوبة والإنابة ، وليبتدىء الإخلاص فى التوبة وفى عمله ، فإن الذى يلزم حامل القرآن من التحفظ أكثر مما يلزم غيره ، كما أن له من الأجر ما ليس لغيره .

قال ابن عباس :

« لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبّهم الله ، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله ، وهانوا على الناس » .

- وعلى صاحب القرآن أن يخلص فى طلبه لله .

(١) المسوك مفردة المسك - بفتح الميم وسكون السين - وهو الجلد والقطعة منه : مَسَكَةٌ ، يقال : هم فى مسوك الثعالب . والمسح - بكسر الميم وسكون السين : الكساء من الشعر ، وثوب الراهب « مولد » والجمع أسماح ومسوح

وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره في الصلاة وفي غير الصلاة لثلاثين سنة ، وهذا أوصانا رسول الله ﷺ ، ففي رواية مسلم عن ابن عمر أنه ﷺ قال : « إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره ، وإن لم يقرأه نسيه » .

- وينبغي له أن يكون لله حامدا ، ولنعمه شاكرا ، وله ذاكرا ، وعليه متوكلا ، وبه مستعينا ، وإليه راغبا ، وبه معتصبا ، وللموت ذاكرا ، وله مستعدا .
- أن يكون خائفا من ذنبه راجيا عفو ربه ، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه إذ لا يعلم بما يُحْتَمُّ له ، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه ، لحسن الظن بالله ، قال رسول الله ﷺ :

« لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » أي أنه يرحمه ويغفر له .

- أن يكون عالما بأهل زمانه ، متحفظا من سلطانه ، ساعيا في خلاص نفسه ونجاة مهجته ، مقدما بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه ، مجاهدا لنفسه في ذلك ما استطاع .

- أن يكون أهم أموره الورع في دينه ، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمر به ، ونهاه عنه .

- ومن نصائح ابن مسعود لقارئ القرآن : « ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بلبه إذا الناس نائمون ، وبناهاره إذا الناس مستيقظون ، وببكاؤه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون » .

- ونصيحة لعبد الله بن عمرو :

« لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ، ولا يجهل مع من يجهل ، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن ، لأن في جوفه كلام الله تعالى » .

- وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاؤن عن طريق الشبهات ، ويقبل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لافائدة فيه ، ويأخذ نفسه بالتحلم والوقار .

- وينبغي له أن يتواضع للفقراء ، ويتجنب التكبر والإعجاب ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة ، ويترك الجدل والمرء ، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب .
- وينبغي له أن يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ويسلم من ضره ، وألا يسمع ممن نم عنده ، وأن يصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكाम الأخلاق ، ويزيئه ولا يشينه .

- وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده ، وما فرض عليه فينتفع بما يقرأ ، ويعمل بما يتلو .

فما أقيح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو ، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه !

- وما أقيح أن يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدره !

- وينبغي له أن يعرف المدني من المكي ليفرق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام ، وما تدبهم إليه في آخر الإسلام ، وما افترض الله في أول الإسلام ، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره فالمدني هو المؤيد للمكي في أكثر القرآن ، ولا يمكن أن ينسخ المكي المدني لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول قبل الناسخ له .

- ومن كماله أن يعرف الإعراب والغريب فذلك مما يسهل عليه معرفة ما يقرأ ويزيل عنه الشك فيما يتلو .

في آداب متفرقة

- الأمر بالوضوء لمن مس القرآن :

عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم : أن لا يمَسَّ القرآنَ إلا طاهر .

العلم والعمل :

في الموطأ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال لإنسان :
(إنك في زمان كثيرٍ فقهاؤه ، قليلٍ قرآؤه ، تحفظُ فيه حدودُ القرآن ، وتُضَيِّعُ حروفه ، قليلٍ من يسأل ، كثيرٍ من يُعْطَى . يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة ، يبدون فيه أعمالهم قبل أهوائهم .

وسياتى على الناس زمانٌ قليلٌ فقهاؤه ، كثيرٌ قرآؤه ، تحفظُ فيه حروف القرآن ، وتُضَيِّعُ حدوده ، كثيرٌ من يسأل ، قليلٌ من يُعْطَى ، يطيلون فيه الخطبة ، ويقصرون الصلاة يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم « أى يتبعون أهواءهم ، ويتركون العمل بالذى افترض عليهم .

في الحث على العمل :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :
(إن من شرِّ الناس رجلا فاسقا يقرأ القرآن لا يرعوى إلى شيء منه)
أى أن المقصود هو العمل بمقتضى الكتاب لا مجرد التلاوة باللسان والترتيل .

لايتوسد القرآن :

عن السائب بن يزيد رحمه الله أن شريحاً الحضرمي ذكر عند رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : (لايتوسد القرآن)

أخرجه النسائي .

المفردات :

لايتوسد القرآن : يجوز أن يكون مدحاً وأن يكون ذمّاً .

فالمدح : أنه لاينام الليل عن القرآن ، فيكون القرآن متوسداً معه ، لم يتهدج به .

والذم : أنه لايحفظ من القرآن شيئاً ، فإذا نام لم يتوسد معه القرآن .

يقال : توسد فلان ذراعه ، إذا نام عليها وجعلها كالوسادة .

عن البراء أن رسول الله ﷺ قال : (زَيْنُوا أصواتكم بالقرآن)

أى : الهجوا بقراءته ، واشغلوها أصواتكم به واتخذوه شِعاراً وزينة .

في الجهر بالقراءة :

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد ،

فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف السُّرَّ ، وقال : (ألا إن كلُّكم يُناجى ربّه ، فلا يُؤذِنَ

بعضكم بعضاً ، ولا يرفعُ بعضُكم على بعض في القراءة - أو قال : في الصلاة)-

أخرجه أبو داود (وإسناده صحيح)

- عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة

بلا ليل ، فقال : (يرحمه الله ، لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا) .

وفي رواية : « أسقطهنَّ من سورة كذا »

وفي أخرى (كان النبي ﷺ يسمع قراءة رجل في المسجد فقال : « رحمه الله لقد

أذكرني آية كنت أنسيتها » هذه رواية البخارى ومسلم

نقل الحافظ عن الإسعيلي : أن النسيان من النبي ﷺ لشيء من القرآن يكون على

قسمين :

أحدهما : نسيائه الذى يتذكره عن قربٍ وذلك قائمٌ بالطباع البشرية ، وعليه يدلُّ قوله ﷺ في حديث ابن مسعود فى السهو : « إنما أنا بشرٌ مثلُكم أنسى كما تنسون »
والثانى : أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاته وهو المشار إليه بالاستثناء فى قوله تعالى : ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ (١)

فأما القسمُ الأولُ : فعارضُ سريعُ الزوال بظاهر قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢)

وأما الثانى : فداخلٌ فى قوله : ﴿ مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ (٣) على قراءة من قرأ بضم أوله من غير همز .

قال الحافظ : وفى الحديث : دليلٌ لمن أجاز النسيان على النبى ﷺ فيما ليس طريقه البلاغُ مطلقا ، وكذا فيما طريقه البلاغ ، بشرط أنه لا يقع إلا بعد ما يقع التبليغ ، وبشرط أنه لا يستمرُّ على نسيانه ، بل يحصل له تذكُّره ، إما بنفسه ، وإما بغيره ، فأما قبل تبليغه فلا يجوزُ عليه النسيانُ أصلا ..

- عن عبد الله بن أبى قيس رحمه الله ، قال : سألتُ عائشةَ رضى الله عنها ، كيف كانت قراءةُ رسول الله ﷺ بالليل ، أكان يُسرُّ بالقراءة أم يجهر ؟ ، فقالت : كل ذلك قد كان يفعل ، ربما أسرَّ ، وربما جهر ، فقلتُ : الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعةً

من حديث أخرجه الترمذى ، وأخرجه النسائى إلى قوله « وربما جهر »

فى الخشوع والبكاء عند القراءة :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « اقرأ على القرآن » فقلتُ : يا رسول الله ، اقرأُ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « إنى أحبُّ أن أسمعَه من

غيرى « قال فقرأتُ عليه سورةَ النساءِ ، حتى جئتُ إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ . (١) قال :
« حسبك الآن » فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان .

هذه رواية البخارى ومسلم ، وزاد مسلم في أخرى . قال :

قال النبىُّ ﷺ : « شهيدا عليهم مادمتُ فيهم - أو ما كنتُ فيهم - » شكُّ من أحد رواته .

المفردات :

حسبك : بمعنى : اسكت ، وحقيقته كافيك .

تذرفان : ذرف الدمعُ : إذا جرى .

- قالت عائشةُ رضى الله عنها : كان أبو بكر إذا قرأ القرآنَ كثير البكاء ، زاد بعضهم : فى صلاة وغيرها .

عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال : « قلتُ لجدتى أسماءَ بنتِ أبى بكر : كيف كان أصحابُ رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن ؟ قالت : كانوا كما نعتهمُ الله عز وجل : تدمعُ عيونهم ، وتقشعُرُ جلودهم ، قال : فقلتُ لها : إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآنُ خرَّ أحدُهم مغشياً عليه ؟ فقالتُ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »

وعن أسماء رضى الله عنها قالت : ما كان أحدٌ من السلف يُغشى عليه ولا يُصعق عند قراءة القرآن ، وإنما يبكون ويقشعرون ، ثم تلينُ جلودهم وقلوبهم لذكر الله .
وعن عائشة رضى الله عنها قالت : القرآنُ أكرمُ من أن يُزيلَ عقولَ الرجالِ .

فائدة : قال النووى رحمه الله : البكاءُ عند قراءة القرآن صفةُ العارفين ، وشعارُ الصالحين ، قال الله تعالى ﴿ وَيَجْرُونَ لِأَذْقَانٍ يَبْكُونَ ﴾ (٢) ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (٣) ، والأحاديثُ فيه كثيرة .

قال الغزالي رحمه الله : يُسْتَحَبُّ البكاءُ مع القراءة وعندھا وطريق تحصيله : أن يُحْضِرَ قلبُهُ الحزن والخوف بتأمُّل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود ، ثم ينظر تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره حزنٌ فليُنكِرْ على فقد ذلك ، فإنه من أعظم المصائب .
 وروى عن ابن عمر أنه مرَّ برجلٍ من أهل العراق ساقطٍ ، فقال : ما بالُ هذا ؟ قالوا : إذا قرئ عليه القرآنُ أو سمعَ ذُكْرَ الله سَقَطَ ، قال ابنُ عمر : « إِنَّا لَنَخْشَى الله وما نسقط »

وقال ابن عمر : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ أَحَدِهِمْ ، مَا كَانَ هَذَا صَنِيعَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ »

عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : سئِلَ رسولُ الله ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ قِراءَةً ؟ قال : « من إذا سمعتهُ يقرأُ رأيتُ أنه يخشى الله عز وجل »
 قال زيد بن أسلم : قرأَ أُبَيُّ بنُ كعبٍ عند النبي ﷺ ومعه أصحابه ، فرقوا ، فقال النبي ﷺ : اغتيموا الدعاءَ عند الرقة فإنها رحمة » :

في كيفية قراءة النبي ﷺ :

عن قتادة رحمه الله ، قال : سألتُ أنسا عن قراءة رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان يمدُّ مداً ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : يمدُّ بسم الله ، ويمدُّ بالرحمن ، ويمدُّ بالرحيم .
 رواه البخاري .

سأل يعلى بن مملك أم سلمة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته ؟ قالت : مالكم وصلاته ؟ ثم نعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءه مفسرة حرفاً حرفاً .
 هذه رواية النسائي .

وفي رواية الترمذي قالت : مالكم وصلاته ؟ كان يصلي ثم ينام بقدر ما صلى ، ثم يصلي قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى ، حتى يضحك ، ثم نعتت قراءته ، فإذا هي تنعت قراءه مفسرة حرفاً حرفاً .

وللترمذى من رواية ابن أبى مليكة عنها قالت : كان رسولُ الله ﷺ وسلم يُقَطِّعُ قراءتهُ : يقول : الحمدُ لله ربَّ العالمين ، ثم يقف ، الرحمن الرحيم ، ثم يقف وكان يقرأ : ملكِ يومِ الدين .

وأخرجه أبو داودَ قال : قالت : قراءةُ رسولِ الله ﷺ : بسمِ اللهِ الرحمن الرحيم : الحمدُ لله ربَّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملكِ يومِ الدين ، يُقَطِّعُ قراءتهُ آيةَ آيةً :

فائدة :

وقد عدَّ بعضهم الوقفَ على رؤوس الآى فى ذلك سنةً وقال أبو عمرو : وهو أحبُّ إلى ، واختاره أيضا البيهقى فى « شعب الإيمان » وغيره من العلماء وقالوا : الأفضلُ الوقوفُ على رؤوسِ الآياتِ وإن تعلَّقتْ بما بعدها ، قالوا : وأتباعُ هدى رسولِ الله ﷺ وسنته أولى .

وعائشةُ رضى الله عنها سُئِلت عن قراءةِ رسولِ الله ﷺ فقالت :

أوتَقَدِّرون على ذلك ؟ كان يقرأُ : بسمِ اللهِ الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . . يرتل آيةَ آيةً .

المفردات :

يُرْتَلُّ : ترتيل القراءة التأتى والتمهُّل وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالتثغر المرتل وهو المشبه بنور الأبقوان .

إياكم وترجع الغناء :

ذكر الامام الحافظ أبو الحسين رزين وأبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث عن خديفة بن إليان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل العشق ، ولحون أهل الكتائب ، وسيجىء بعدى أقوامٌ يُرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح ، لا يجاوزون حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ،

« وقلوبُ الذين يُعجبهم شأنهم » أخرجه رزين ، ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزه للطبراني في الأوسط
 « في سند هذا الحديث مقال ولكننا أثبتناه لتأمل معناه والانتفاع به »

المفردات :

(بلحون العرب ، اللحن والألحان : جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت ، وتحسين قراءة القرآن ، أو الشعر ، أو الغناء ، ويشبه أن يكون هذا الذي يفعله قراء زماننا في بعض المجالس من اللحن الأعجمية التي يقرءون بها مما نهى عنه رسول الله ﷺ : « يُرْجَعُونَ » الترجيع في القراءة : ترديد الحروف ، كقراءة النصراري .

- ماذا نقول ؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ قرأ منكم : » والتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ » ، فانتهى إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ فليقل : وأنا على ذلك من الشاهدين .

ومن قرأ : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِبِعْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ فانتهى إلى قوله ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ؟ فليقل : بلى ، وعزّة ربنا .

ومن قرأ : « والمرسلات » فبلغ « فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ؟ » فليقل : « أمتا بالله » قال إسماعيل بن أمية بن عمرو بن العاص الراوي عن الأعرابي لهذا الحديث : ذهبت أعيده على الرجل الأعرابي الذي رواه عن أبي هريرة ، وأظن لعله - أي لعله نسي أو وهم في شيء - قال : يا ابن أخي ، أظن أني لم أحفظه لقد حججت ستين حجة ، ما فيها حجة إلا وأنا أعرف البعير الذي حججت عليه « (١) - هذه رواية أبي داود ..

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ كان إذا قرأ : ﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ قال : « سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى »

* أخرجه أبو داود ، وقال روى موقفا

على ابن عباس رضي الله عنها .

إحصاء

روى سلام أبو محمد الحِمَّاني أن الحجاج بن يوسف جمع القراءَ والحفَّاظَ والكُتَّابَ ، فقال : أخبروني عن القرآن كم من حرف هو ؟

قال : وكنتُ فيهم فحسبناه ، فأجمعنا على أن القرآن ، ثلاثمائة ألف حرف ، وأربعون ألف حرف وسبعائة حرف ، وأربعون حرفاً ، « ٣٤٠٧٤٠ » حرفاً .

قال : فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن ؟

فإذا هو في الكهف « وَلِيَتَلَطَّفْ » في الفاء .

قال : فأخبروني بأثلاثه ؟

فإذا الثلث الأول رأس مائة^(١) من « براءة » ، والثلث الثاني : رأس مائة وإحدى

من طسم^(٢) « الشعراء » ، والثلث الثالث : ما بقي من القرآن .

قال : فأخبروني بأسبابه على الحروف ، فإذا أولُ سُبُعٍ في النساء : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ

بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾ في الدال^(٣)

والسُبُعُ الثاني في الأعراف : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْيَاهُمْ ﴾^(٤)

في التاء من حبطت .

(١) والثلث الثاني يبدأ من قوله تعالى « ومن حولكم من الأعراب منافقون .. » الآية

(٢) الآية ١٠٨ « ولا صديق حميم »

(٣) الآية : ٥٥

(٤) الآية : ١٤٧

والسبع الثالث في الرعد : « أَكُلْهَا دَائِمٌ »^(٥) في الألف في آخر أكلها

والسبع الرابع في الحج : « وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا »^(١) في الألف .

والسبع الخامس في الأحزاب : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ »^(٢) في الهاء .

والسبع السادس في الفتح : « الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءَ »^(٣) في الواو .

والسبع السابع ما بقي من القرآن .

قال سلام أبو محمد : عملناه في أربعة أشهر ، وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربعا ،

فأول ربع خاتمة الأنعام ، والربع الثاني في الكهف « وليتلطف » ، والربع الثالث خاتمة

الزمر ، والربع الرابع ما بقي من القرآن .

عدد آي القرآن :

العدد

مروى عن الإمام على رضي الله عنه

٦٢٣٦ آية

عند البصريين

٦٢٠٤ آيات

وأجمعوا على أن عددها يزيد على ستة آلاف ومائتي آية ، والخلاف في العدد الزائد عن

ذلك فهو :

عند الكوفيين

ست وثلاثون آية

عند البصريين

وأربع آيات

عند المكيين

وتسع عشرة آية

عند الشاميين

وست وعشرون آية

(١) الآية : ٣٥

(٢) الآية : ٣٤

(٣) الآية : ٣٦

(٤) الآية : ٦

عدد كلمات القرآن وحروفه :

	عدد الكلمات
في قول عطاء بن يسار	٧٧٤٣٩
	عدد الحروف
في قول عطاء بن يسار	٣٢٣٠١٥
في قول سلام أبو محمد الجبائي	٣٤٠٧٤٠
في قول مجاهد	٣٢١١٨٠
وجميعهم متفقون على أنها تزيد على : « ٣٢٠٠٠٠ » حرف	

القسم الخامس

دعوات مأثورات ■
ثبت المراجع ■

« دعاء »

ختم القرآن العظيم

أولاً : المأثور عن الإمام علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللَّهُمَّ) اجْعَلْنَا وَوَالِدِينَا ، وَمَسَائِدَنَا وَمُعَلِّمِنَا ، وَوَالِدِيهِمْ وَالْحَاضِرِينَ ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ : مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْمُفْلِحِينَ ، الْمُنْجِحِينَ ^(١) الْفَائِزِينَ ، الْبَارِينَ النَّعِيمِينَ ^(٢) ، الْفَرِحِينَ ، الْمَسْرُورِينَ ، الْمُسْتَبْشِرِينَ الْمُطْمَئِنِّينَ ، الْأَمِينِينَ الَّذِينَ لَاخَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ؛ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

صَدَقَ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، وَبَلَغَ رَسُولُهُ النَّبِيُّ الْوَفِيُّ الْكَرِيمُ ، وَتَحَنُّ عَلَى مَا قَالَتْ رَبُّنَا ، وَسَيِّدَاتُنَا ، وَمَوْلَانَا * وَخَالِقُنَا ، وَرَازِقُنَا ، وَبَاعِثُنَا ، وَوَارِثُنَا ، وَنَصِيرُنَا ، وَمَنْ إِلَهُهُ مَصِيرُنَا ، وَوَلِيُّ النُّعْمَةِ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ، وَلَهُ مِنَ الذَّاكِرِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدَاتِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُتَّخِذِينَ ، وَعَلَى جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، إِنْ رَبَّنَا حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

(١) المنجحين : أى الصائرين ذوى نجح وظفر .

(٢) النعمين : أى النضرين ؛ يقال : نعم العود - كفرح - اخضر ونضر .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَمَدَ فِي الْكِتَابِ نَفْسَهُ ، وَاسْتَفْتَحَ بِالْحَمْدِ كِتَابَهُ ، وَاسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ ، وَجَعَلَ الْحَمْدَ دَلِيلًا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَرَضِيَ بِالْحَمْدِ شُكْرًا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ .
 الْحَمْدُ لِلَّهِ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ ، الْمَوْجِبَةِ لِمَزِيدِهِ ، الْمُوَدِّيَةِ لِحَقِّهِ ، الْمُقَدِّمَةِ عِنْدَهُ ، الْمَرْضِيَّةِ لَهُ ، الشَّافِعَةِ لِأَمْنَالِهَا^(١) وَتَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ وَيُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ بِأَفْضَلِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا ، وَأَنْ يُحِبُّهُ بِأَشْرَفِ مَنَازِلِ الْجَنَانِ وَتَعْيِيمِهَا ، وَشَرِيفِ الْمَنَزَلَةِ فِيهَا^(٢) - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) إِنَّكَ أَحْضَرْتَنَا خَتَمَ كِتَابِكَ الَّذِي عَظَّمْتَ حُرْمَتَهُ ، وَجَعَلْتَهُ مُهَيِّنًا عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ ، وَقَرَأْنَا أَعْرَبْتَ فِيهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ ، وَفُرُقَانًا فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ ، وَكِتَابًا فَصَلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا ، وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ عَلَى قَلْبِ نَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْحَقِّ تَنْزِيلًا ، وَجَعَلْتَهُ نُورًا تَهْدِي مِنْ ظُلْمِ الضَّلَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ ، وَشَفِيعًا لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَى اسْتِغَاثِهِ ، وَبِمِيزَانٍ قَسَطٍ لَا يَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ (مَنْطِقٌ) لِلسَّانِيهِ ،^(٣) وَضَوْوَةٌ هُدًى لِاتَّخِيصِ^(٤) الشُّبُهَاتِ نُورَ بُرْهَانِهِ ، وَعَلَمٌ نَجَاةٍ لَا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ ، وَلَا تَنَالُ يَدُ السَّهْلَكَةِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) فَإِذَا بَلَّغْتَنَا خَاتِمَتَهُ ، وَحَبَّبْتَ إِلَيْنَا تِلَاوَتَهُ ، وَسَهَّلْتَ عَلَى حَوَاشِي السَّبْتِنَا حُسْنَ إِعَادَتِهِ ؛ فَاجْعَلْنَا يَا رَبُّ (يَا اللَّهُ) مِنْ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَيُرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ ، وَوَدَّيْنُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّصْدِيقِ مُحْكَمِ بَيِّنَاتِهِ ، وَيَفْرَعُ إِلَى الْإِفْرَارِ بِمُتَشَابِهِ آيَاتِهِ ، وَالْإِعْتِرَافِ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ ، لِاتِّعَارِضْنَا الشُّكُوكَ فِي تَصْدِيقِهِ ، وَلَا يَخْتَلِجُنَا الزُّبْعُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ - يَا كَرِيمُ .

(١) أى التى تصير أمثالها شفعا لها . (٢) المنازل : الأمكنة . والمنزلة : الرتبة والدرجة .

(٣) لا يحيد : لا يعدل عن الحق . (٤) لاتخفى : لاتطفى . من أخبيت النار أطفيتها .

(اللَّهُمَّ) وَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا مُذَلَّلَةً بِحَمَلِهِ ، وَعَرَفْتَنَا مِنْكَ شَرَفَ فَضْلِهِ : فَاجْعَلْنَا يَارَبَّ
 (يَا اللَّهُ) مِمَّنْ يَعْصِمُ بِحَبْلِهِ ، وَيَأْوِي مِنَ الشُّبُهَاتِ إِلَى عِصْمَةِ مَعْقِلِهِ ، وَيَسْكُنُ فِي ظِلِّ
 جَنَاحِ هِدَايَتِهِ ، وَيَهْتَدِي بِبَلَجِ إِسْفَارِ ضَوْئِهِ ، وَيَسْتَضِيحُ بِضَوْءِ شُعْلَةِ مِصْبَاحِهِ ، وَلَا يَلْتَمِسُ
 الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) وَكَمَا نَصَبْتَهُ عَلِمًا لِلدَّلَالَةِ عَلَيْكَ ، وَأَنْهَجْتَ بِهِ سَبِيلَ مَنْ نَزَعَاتُهُ إِلَيْكَ :
 فَاجْعَلْهُ وَسِيلَةً لَنَا إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ ، وَسَبَبًا نَحْوِي بِهِ النِّجَاةَ فِي غُرْبَةِ الْقِيَامَةِ ،
 وَسَلْمًا نَعْرُجُ فِيهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلَامَةِ ، وَدَرِيْعَةً نَقْدُمُ بِهَا إِلَى تَعِيمِ دَارِ الْمُقَامَةِ يَا كَرِيمُ .
 (اللَّهُمَّ) وَاجْعَلْهُ لَنَا فِي ظَلَمِ اللَّيَالِي مُؤَسَّسًا ، وَلَاقْدَامِنَا عَنْ نَقْلِهَا إِلَى الْمَعَاصِي
 حَاسِبًا ، وَلَا لِسِنِّيْنَا عَنْ الْحَوْضِ فِي الْبَاطِلِ مِنْ غَيْرِ مَا آفَةٍ مُخْرِسًا ، وَجَوَارِحِنَا عَنْ
 اجْتِرَاحِ السِّنِّيَاتِ زَاجِرًا ، وَلِمَا طَوَّتِ الْعُقْلَةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ اعْتِيَابِهِ نَاشِرًا : حَتَّى تُوَصَّلَ
 إِلَى قُلُوبِنَا فَهَمَّ عَجَائِبِ أَمْنَالِهِ ، وَرَوَّاجِرَ نَهْيِهِ الَّتِي ضَعُفَتِ الْجِبَالُ عَنْ احْتِمَالِهِ - يَا كَرِيمُ .
 (اللَّهُمَّ) وَاجْبُرْ بِهِ خَلَّتْنَا بِالْغَنَى مِنْ عُدْمِ الْإِمْلَاقِ ، وَسُقْ إِلَيْنَا بِهِ رَعْدَ الْعَيْشِ
 وَخِصْبَ السَّعَةِ فِي الْأَرْزَاقِ ، وَأَعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هَفْوَةِ الْكُفْرِ وَدَوَاعِي النَّفَاقِ ، وَجَنِّبْنَا بِهِ
 الضَّرَائِبَ^(١) الْمَذْمُومَةَ وَمَدَانِي^(٢) الْأَخْلَاقِ : حَتَّى تُطَهَّرْنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ يَبْطَهِيرُهُ ، وَتَقْفُو
 بِنَا آثَارَ الَّذِينَ اسْتَضَبُّحُوا بِنُورِهِ ، وَلَمْ يُلْهَمُهُمُ الْأَمَلُ فَيَقْتَطِعُهُمْ بِخَدَائِعِ غُرُورِهِ - يَا كَرِيمُ .
 (اللَّهُمَّ) وَكَمَا أَكْرَمْتَنَا بِخَتْمِ كِتَابِكَ ، وَنَدَبْتَنَا إِلَى التَّعَرُّضِ لِلْجَزِيلِ ثَوَابِكَ ، وَحَدَرْتَنَا
 عَلَى لِسَانِ وَعِيدِهِ أَلِيمِ عَذَابِكَ : فَاجْعَلْنَا يَارَبَّ (يَا اللَّهُ) مِمَّنْ يُحْسِنُ صُحْبَتَهُ فِي مَوَاطِنِ
 الْخَلَوَاتِ ، وَيُنَزِّهَ قَدْرَهُ عَنْ مَوَاقِفِ التُّهْمَاتِ ، وَيَجْلُ حُرْمَتَهُ عَنْ أَمَاكِنِ الثُّؤُوبِ عَلَيْهِ مِنَ
 الْمُتَكْرَرَاتِ ؛ حَتَّى يَكُونَ لَنَا فِي الدُّنْيَا عَنِ الْمَحَارِمِ ذَائِدًا ، وَإِلَى النِّجَاةِ فِي غُرْبَةِ الْقِيَامَةِ

(١) الضرائب : الطباع مفردا ضريبة : وهي الطبيعة والسجية .

(٢) مدانيء الأخلاق : خسايسها وذنابلها ، جمع مدنا ، مصدر ميمي بمعنى الدناة .

قَائِدًا ، وَلَنَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلَالِكَ وَتَحْرِيمِ حَرَامِكَ شَاهِدًا ، وَبِنَا عَلَى خُلُودِ الْأَبَدِ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ وَافِدًا - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) وَسَهَّلْ بِهِ عَلَيَّ أَنْفُسِنَا عِنْدَ الْمَوْتِ كُرْبَ السِّيَاقِ ، وَعَلِّزْ^(١) الْأَيْنِينَ إِذَا بَلَغَتْ الرُّوحَ التَّرَاقَ ، وَتَجَلَّى مَلَكُ الْمَوْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجْبِ الْغُيُوبِ وَقِيلَ مَنْ رَاقَ ، وَزَافَ^(٢) لَهَا مِنْ دُعَافِ مَرَاةِ الْمَوْتِ كَأَسَا مَسْمُومَةَ السَّمْدَاقِ ، وَرَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْأَمْنَايَا بِسَهْمِ وَحْشَةِ الْفِرَاقِ ، وَدَنَا مِنَّا الرَّحِيلُ إِلَى الْآخِرَةِ وَصَارَتْ الْأَعْمَالُ قَلَانِدَ فِي الْأَعْتَاقِ ، وَكَانَتْ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأْوَى إِلَى مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلَاقِ - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) وَبَارِكْ لَنَا فِي حُلُولِ دَارِ الْبَلَى^(٣) ، وَطُولِ الْإِقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الشَّرَى ، وَاجْعَلِ الْقُبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا ، وَافْسَحْ لَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ضَيْقَ مَدَاخِلِنَا ، وَلَا تَفْضَحْنَا يَا مَوْلَانَا فِي حَاضِرِي الْقِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ^(٤) الْآثَامِ ، وَاعْفُ عَنَّا مَا ارْتَكَبْنَا مِنْ الْحَرَامِ ، وَارْحَمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي مَوْقِفِ الْعُرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا ، وَثَبَّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جُسُورِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْمَجَازِ عَلَيْهَا زَلَّةَ أَقْدَامِنَا ، وَنَجِّنَا بِهِ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَشَدَائِدِ أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّامَةِ ، وَبَيِضِ بِهِ وُجُوهَنَا إِذَا اسْوَدَّتْ وَجُوهُ الْعُصَاةِ فِي مَوْقِفِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) وَاصِلِ بِهِ صَلَاحَ ظَاهِرِنَا ، وَاحْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ عَنِ صِحَّةِ ضَمَائِرِنَا ، وَاعْسِلْ بِهِ دَرْنَ قُلُوبِنَا وَمُوبِقَاتِ جَرَائِرِنَا ، وَانْفِ بِهِ وَحَرَ^(٥) الشُّكُوكِ عَنِ صِدْقِ سَرَائِرِنَا ، وَاجْمَعْ بِهِ مُتَنَائِيَاتِ أُمُورِنَا^(٦) ، وَاشْرَحْ بِهِ صُدُورِنَا ، وَيَسِّرْ بِهِ أُمُورِنَا ، وَاكْسُنَا بِهِ حُلْلَ الْأَمَانِ فِي نُشُورِنَا ، وَأَطِّلْ بِهِ فِي مَوْقِفِ السَّاعَةِ جَدَلْنَا وَسُرُورِنَا - يَا كَرِيمُ .

(١) العلز - بالتحريك - : الملغ الذي يصيب المريض والمحتضر .

(٢) زاف - بالزاي - : دفع . وفي نسخة بالبدال المهمله بمعنى خلط . والذعاف - بالذال - : السم .

(٣) دار البلى : هي القبر . (٤) موبقات : مهلكات . (٥) الوح - بالتحريك : الغش .

(٦) متنائيات : متباعدات ومتفرقات : من تناءى ، بمعنى تباعد .

(اللَّهُمَّ) واحططْ بِهِ عَنَّا ثَقَلَ الْأَوْزَارِ ، وَهَبْ لَنَا بِهِ حُسْنَ سَمَائِلِ الْأَبْرَارِ ، واقفُ بِنَا
 آثارَ الَّذِينَ قَامُوا لَكَ بِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ، حَتَّى تُوجِبَ لَنَا بِهِ فَوَائِدَ غُفْرَانِكَ ؛
 وَتُحَفَّ بِوَادِي إِحْسَانِكَ ، وَمَوَاهِبَ صَفْحِكَ وَمَغْفِرَتِكَ وَرِضْوَانِكَ ، يَا أَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ ، وَأَوْسَعَ^(١)
 مَنْ جَادَ بِالْعَطَايَا ، طَهَّرْنَا بِكِتَابِكَ الْكَرِيمِ مِنْ ذَنْسِ الْخَطَايَا ، وَهَبْ لَنَا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ
 عِنْدَ حُلُولِ الرَّزَايَا ، وَامْتِنْ عَلَيْنَا بِالْإِسْتِعْدَادِ عِنْدَ نُزُولِ السَّمَايَا ، وَعَافِنَا مِنْ مَكْرُوهِ مَا يَفْعُ
 مِنْ مَحْذُورِ الْبَلَايَا - يَا كَرِيمُ .

أَتْرَاكَ تَعْلُ^(٢) إِلَى الْأَعْتَاقِ أَكَمَا تَضَرَّعْتَ إِلَيْكَ ! وَاعْتَمِدْتَ فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ الرُّكُوعِ
 وَالسُّجُودِ بَيْنَ يَدَيْكَ^(٣) ، أَوْ تُقَيِّدُ بِأَنْكَالِ الْجَحِيمِ^(٤) أَقْدَامًا سَعَتْ إِلَيْكَ ، وَخَرَجْتَ مِنْ مَنَازِلِهَا
 لِاحْتِاجَةِهَا إِلَّا الطَّمَعُ وَالرَّغْبَةُ فِيمَا لَدَيْكَ ؛ مَنَّا مِنْكَ عَلَيْهَا (يَا سَيِّدِي) لَأَمَّا مِنْهَا عَلَيْكَ ،
 بَلْ لَيْتَ شِعْرِي^(٥) ؛ أَتْرَاكَ تُصَيِّمُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا^(٦) أَسْمَاعًا تَلْدُذَّتْ بِحَلَاوَةِ تِلَاوَةِ كِتَابِكَ الَّذِي
 أَنْزَلْتَهُ ؟ أَوْ تَطْمِيسُ بِالْعَمَى فِي ظَلَمٍ مَهَاوِيهَا أَبْصَارًا بَكَتْ إِلَيْكَ ؛ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ وَفِرْعًا مِنَ
 الْحِسَابِ ! أَمَا وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ، مَا أَصْغَتِ الْأَسْمَاعُ حَتَّى صَدَّقَتْ ، وَلَا أَسْبَلَتْ الْعُيُونُ
 وَإِكْفَ الْعَبْرَاتِ حَتَّى أَشْفَقَتْ ، وَلَا عَجَبَتْ الْأَصْوَاتُ إِلَيْكَ بِالْأَدْعَاءِ حَتَّى خَشَعَتْ ،
 وَلَا تَحَرَّكَتِ الْأَلْسُنُ نَاطِقَةً بِاسْتِفْقَارِهَا حَتَّى نَدِمَتْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلَّلِهَا وَعِثَارِهَا فَيَا مَنْ أَكْرَمَنَا
 بِالتَّضَدِيقِ ، عَلَى بُعْدِ أَعْمَالِنَا مِنْ شَوَاهِدِ التَّحْقِيقِ : أَيُّدُنَا (اللَّهُمَّ) مِنْكَ يَا رَبُّ فِي

(١) من اسأله تعالى « الواسع » أى ذى الفضل الشامل . والنوال الكامل والرحمة العامة .

(٢) أتراك تغل إلخ : أى ايظن بك ان تفعل هذا ! كلا !! فهو استفهام بمعنى النفى .

(٣) اعتدت : أى أتكى . على هذه الألف فى الركوع والسجود ، والعبارة فيها تصرف لتوضيح المعنى وفى الأصل

« اعتدت فى صلاتها راكمة وساجدة ... »

(٤) أنكال الجحيم : قيودها فى الأقدام . وأما أغلالها فى الاعتناق .

(٥) ليت شعرى : أى ليتنى أعلم

(٦) أطباقها : جمع طبق - بفتح الأوسط - وهو الغطاء والغشاء والحمال والمنزلة ، والمقصود أهوال جهنم وشدائدها ،
 والاستفهام هنا للنفى وهو على سبيل الرجاء والدعاء ، أى يارب لا تصم - أى لا تسد - بزفير جهنم وحرها أسماعا طالما تلذذت
 بحلاوة سماع القرآن .

هَذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ بِالْعِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ - يَا كَرِيمُ .
 (اللَّهُمَّ) وَأَنْسِ وَحَشْتَنَا بِطَاعَتِكَ يَا مُؤَنِّسَ الْفَرْدِ الْحَيْرَانِ فِي مَهَامِهِ الْقِفَارِ ، وَتَدَارِكُنَا
 بِعِصْمَتِكَ يَا مُدْرِكَ الْغَرِيقِ فِي لُجْجِ الْبِحَارِ ، وَخَلِّصْنَا (اللَّهُمَّ) بِلُطْفِكَ مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ
 الْأَهْوَالِ وَالْأَخْطَارِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ -
 صَلَاةً يَغْفِطُهُمْ بِهَا مَنْ حَضَرَ الْمَوْقِفَ يَوْمَ الدِّينِ وَصَلَّى (اللَّهُمَّ) عَلَى آبَائِهِ وَإِخْوَانِهِ مِنْ
 الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ
 أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَى أَيْبِنَا آدَمَ وَأُمَّنَا حَوَاءَ وَمَنْ وَلَدَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَى الصَّحَابَةِ
 وَالتَّابِعِينَ ، وَتَابِعِي التَّابِعِينَ ، مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

[وَهَبَ اللَّهُ (١) لَنَا وَلَكُمْ سَوَافَ الْأَتَامِ . وَعَصَمْنَا وَإِيَّاكُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَتَقَبَّلَ
 مِنَّا وَمِنْكُمْ الصَّلَاةَ وَالْقِرَاءَةَ وَالصَّدَقَةَ . وَالدُّعَاءَ وَالْحُجَّ وَالصِّيَامَ ، وَأَحْلَنَّا وَإِيَّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ دَارَ
 السَّلَامِ ، وَلَا أَرَانَا وَإِيَّاكُمْ قَبِيحًا بَعْدَ هَذَا الْمَقَامِ ، وَتَلَقَى أُمَّوَاتِنَا وَأُمَّوَاتِكُمْ وَأُمَّوَاتِ الْمُسْلِمِينَ
 بِالْإِحْتِفَافِ وَالْإِكْرَامِ ، وَالْإِنْعَامِ] .

وصلى الله على سيدنا محمد خير الأنام ، وعلى آله الخيرة البررة انكرام . وسلم تسليما
 كثيراً والحمد لله رب العالمين ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبُّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى
 الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) الظاهر أن ما بين المربعين إنما يقال عند ختم الجمع من القراءة في حضورهم : كما في المقارىء المعروفة

دعاء

ختم القرآن العظيم

لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني

٢

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَتَوَحَّدُ فِي الْجَلَالِ بِكَمَالِ الْجَمَالِ تَعْظِيماً وَتَكْبِيراً ، الْمُنْفَرِدُ بِتَصْرِيفِ الْأَحْوَالِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ تَقْدِيراً وَتَدْبِيراً ، الْمُنْعَالِي بِعَظَمَتِهِ وَمَجْدِهِ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ . لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ، وَصَدَقَ رَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيماً كَثِيراً ، الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْحَيِّ وَالْإِنْسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ، وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجاً مُنِيراً .

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِكَ الْعَظِيمَةِ ، وَالْآنُكَ الْجَسِيمَةِ حَيْثُ أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا خَيْرَ كُتُبِكَ ، وَأَرْسَلْتَ إِلَيْنَا أَفْضَلَ رُسُلِكَ ، وَشَرَعْتَ لَنَا أَفْضَلَ شَرَائِعِ دِينِكَ وَجَعَلْتَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَهَدَيْتَنَا لِمَعَالِمِ دِينِكَ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لِنَفْسِكَ وَبَنَيْتَهُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا يَسَّرْتَهُ مِنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ الْعَزِيزِ الَّذِي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ . اللَّهُمَّ إِنَّا عَبِيدُكَ

بُنُو عَيْبِدِكَ بَنُو إِمَائِكَ تَوَاصِينَا بِيَدِكَ مَاضٍ فِينَا حُكْمُكَ عَدْلٌ فِينَا قَضَاؤُكَ .
 نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا
 مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبِيعَ قُلُوبِنَا وَنُورَ
 صُدُورِنَا وَجِلَاءَ أَحْزَانِنَا وَذَهَابَ هُمُومِنَا وَغَمُومِنَا .

اللَّهُمَّ ذَكَّرْنَا مِنْهُ مَا نَسِينَا وَعَلَّمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا ، وَأَرْزُقْنَا بِتِلَاوَتِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ
 النَّهَارِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنَّا .
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مَنْ يُحِلُّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ وَيَعْمَلُ بِحُكْمِهِ وَيُؤْمِنُ بِمِثْسَابِهِ وَيَتْلُوهُ
 حَقَّ تِلَاوَتِهِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مَنْ يُقِيمُ حُدُودَهُ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنْ مَنْ يُقِيمُ حُرُوفَهُ وَيُضَيِّعُ حُدُودَهُ اللَّهُمَّ
 اجْعَلْنَا مِنْ مَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ فَقَادَهُ إِلَى رِضْوَانِكَ وَالْجَنَّةِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنْ مَنْ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنَ فَزَجَّ فِي
 قَفَاهُ إِلَى النَّارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ وَخَاصَّتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
 اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْفَرِّيقَيْنِ بَيْنَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ
 بَيْنَهُمْ وَأَنْصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ ، وَاهْدِهِمْ سَبِيلَ السَّلَامِ وَأَخْرِجْهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ وَبَارِكْ لَهُمْ فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَهُمْ وَاجْعَلْهُمْ
 شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ مُتَّيِّبِينَ بِهَا عَلَيْكَ قَابِلِيهَا ، وَأَتَمِّمَهَا عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
 اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِجَمِيعِ مَوْتَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا لَكَ بِالوَحْدَانِيَّةِ ، وَلِنَبِيِّكَ بِالرِّسَالَةِ
 وَمَاتُوا عَلَى ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ وَأَرْحَمِهِمْ وَعَافِهِمْ وَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُمْ وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُمْ وَاعْسِلْهُمْ
 بِالسَّاءِ وَالنَّجَاحِ وَالْبَرْدِ ، وَنَقِّهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يَنْقَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ .
 ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا
 إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ
 الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ ، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ مِنْهُ عَبْدُكَ

وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعِبَادِكَ الصَّالِحُونَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ
مُحَمَّدٌ ﷺ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ
إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ .

اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا مَرِيضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ
وَعَاقِبَتَهُ وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا وَلَنَا فِيهَا صَلَاحٌ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ .

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

تَبَيَّنَ المَرَاجِعُ

الكتاب	المؤلف	القرن الهجري
١ - تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن »	لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي	السابع
٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز « الجزء الأول »	لأبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي	السادس
٣ - تفسير ابن كثير « الجزء الأول »	الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي	الثامن
٤ - فضائل القرآن	للإمام ابن كثير	الثامن
٥ - جامع الأصول في أحاديث الرسول الجزء الثاني: تحقيق عبد القادر الأرناؤوط	الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد: ابن الأثير الجزري	السابع
٦ - النسخ والمنسوخ	لأبي القاسم هبة الله بن سلامة	الخامس
٧ - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة	للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي	العاشر
٨ - صفوة صحيح البخاري « الجزء الثالث »	لشيخنا الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر	الرابع عشر
٩ - شرح المختار من هدى الرسول ﷺ وكتب أخرى	لشيخنا الجليل الشيخ محمد داود بيهي	الرابع عشر

تم الفراغ من تأليف هذا الكتاب في عام ١٣٩٩ من الهجرة (١٩٧٩ من الميلاد) وتم طبعه في عام ١٤٠٠ من الهجرة (١٩٨٠ من الميلاد) بموافقة:

١ - رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد «مراقبة الكتب وطبعات المصاحف» بالمملكة العربية السعودية «خطاب رقم ٥/٣٩٨ في ١٣/٩/١٣٩٩ هـ» .

٢ - وزارة الإعلام «إدارة المطبوعات / جدة» بالمملكة العربية السعودية (خطاب رقم ١٣٧٨/م/ج في ٢٥/٦/١٣٩٩ هـ) .

* * *

(إدارة التربية الإسلامية)

المحترم

سعادة الأخ مدير إدارة المكتبات المدرسية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد،

إشارة إلى شرح معالي الوزير برقم ١٤٣٢ وتاريخ ١٤٠٢/٤/٦ هـ حول كتاب مع القرآن الكريم تأليف / أحمد بن محمد طاحون .

وبالاطلاع عليه وجدته نافعاً لطلابنا - إن شاء الله - فقد تضمن فصلاً جيدة حول القرآن الكريم وعلومه وما ينبغي له من آداب ، وبحوثاً قيمة حول مكانة السنة النبوية الشريفة وحجيتها مراعيّاً في كل ذلك سلاسة الأسلوب ووضوح الأفكار وجمال العرض .

ويكون مفيداً إن تمكنت إدارة المكتبات من توفيره بمكتبات المدارس العامة ومدارس تحفيظ القرآن الكريم بصفة خاصة .

ولكم تحياتي ،،،

مدير إدارة التربية الإسلامية

حمد إبراهيم الصليفيح

٥ تقديم

١٣ تصدير

القسم الأول

١٨ نزول القرآن منجماً

٢٢ معنى النسخ والمنسوخ

٢٥ المكي والمدني من سور القرآن الكريم وآياته

٢٨ كتاب الوحي

٢٩ ترتيب القرآن الكريم وجمعه

٣٤ تفسير القرآن الكريم بالرأى

٣٨ القرآن الكريم أعظم معجزات النبي ﷺ

القسم الثاني

..... منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم

٤٨ أولاً : لمحة تاريخية

٥٤ ثانياً : البيان

القسم الثالث

٦٤ القرآن الكريم : هدى ونور وشفاء لما في الصدور

٧١ الرسول محمد ﷺ يوصينا

٧٥ فضل قراءة القرآن الكريم والعمل به

٧٨ منزلة قارئ القرآن الكريم

٨١ منشورات من الدرر المأثورات

٨٦ استذكار القرآن وتعاهده

٨٩ مجالن للخير

القسم الرابع

٩٤ وجوب العناية بتعليم القرآن الكريم

٩٨ ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمة

١٠١ ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه

١٠٤ في آداب متفرقة

١١١ إحصاء

القسم الخامس

..... دعوات مأثورات

١١٦ دعاء مأثور عن الإمام علي زين العابدين

١٢٢ دعاء مأثور عن الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

١٢٥ ثبت المراجع